

الذاهبون إلى الشهادة



دار القلم



آلاء غنيم

الذاهبون إلى الشهادة - رواية ألاء غنيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأحبة..

أنزور أستميروف .. أبو حمزة المهاجر .. همام البلوى .. عمر عبد الرحمن

.. خطاب ..

"البشر اعجب خلق الله .. أعقدهم .. أكثرهم بعدا وقربا في ذات الوقت

.. أكثرهم تناقضا"

نعم أنت فاتنة إنما .. أرى عزة النفس لي أفتنا

إذا كان عندك سحر الجمال .. فسحر الرجولة عندي أنا

ردد "براء" هذه الأبيات منتشيا أمام عيني والده الذاهلتين أمامه .. وأمام النظرة

المندهشة ضحك وقال: أبت .. مابك ؟

أغلق والده الكتاب الذى كان أمامه واستدار بالمقعد للخلف ليضعه فى المكتبة

..

واطفاً مصباح المكتب ثم تطلع إليه:

لم أعتد هذا منك .. كل الشعر الذى سمعته منك طيلة حياتى لم يخرج عن

نطاق "قم فانس الزوجة والوالد وانس الأطفال"

جلس ابنه على حافة المكتب وقال: ليس الأمر هكذا .. إنما هى فقط ابيات

ترويح على النفس لا أكثر..

ووضع وجهه مقابل وجه والده .. يكاد الوجهان يتطابقان تماماً إلا أن لحية

الأب أطول من لحية الابن والبياض قد غزاها حتى غالب سوادها.. نفس

الأنف ذى الشمم .. نفس العينين الزرقاوين الأشبه بعينى ذئب أكثر منها عين

بشر..

فيما عذا اختلاف بسيط جدا .. عيني "براء" أشد حدة من عين أبيه .. أشد

حدة كثيراً

عيني تنفضان من تنظر إليه نفضا .. فلا تبقى به ثباتا أو رباطة جأش ..

وضع والده يديه في وجهه وقال: ماذا فعلت بأشياء عمك .. مصحفه ومفكراته

؟

نظر إليه في دهشة : المفترض انك تعرف إلى اين ذهبت بها يا ابت ..

تنهد والده وقال : ما عن هذا أسألك .. تعرف عن ماذا اسأل

عدل منظاره الطبي وقال : وتعيب على أنى أقول نعم أنت فاتنة إنما ؟

والله لقد وقفت مذهولا امام الأمر ولولا سؤالك ما عبر الكلام لساني أصلا

ابتسم والده في ود وقال : كيف حال سيرين ؟

هز براء رأسه في عجب وقال :العجب كيف لرجل مثله .. لطالما تكلم الناس

عنه وفيه .. لطالما منعت كتبه .. لطالما هتف أنصار الجهاد بأقواله .. لطالما كان

رجلا لا يطوف بالدوائر .. كيف له أن يوصى بأخص ما كان له لها ؟

وهو مارآها منذ سنين .. من ايام الجامعة كما رويت لى .. أى قرابة العشرين

عاما ..

ليس هذا ما يغيبني .. إنما ما يغيبني هي ..

قال والده : ولطالما أعاظتنا لسنين يا بني .. ولم أعرف ما كانت هي له إلا منذ أيام ..

تطلع "محمود" إلى صورة "عصام" التي تحتل ركننا صغيرا في مكتبته .. وابتسم وقد ادهشه سكون الغرفة بعد أن غادرها براء .. همس للصورة في رفق .. لقد

صار براء مثلك يا عصام .. صار مثلك

لا يكون في مكان إلا كان ملئ السمع والبصر، لا يكون بإمكانك أن تتطلع إلى سواه ..

كان قلبه يفيض بدمع لا يخرج للعيون .. ينبض بندم أنه لم يمت على زنده كما كان يتمنى ..

ينبض بذكريات ما كانت لتموت أبدا .. ذاك رفيق دربه .. والسبب في هدايته .. وما كان الفراق ليسهل أبدا ..

كانت صورة عصام له وهو في الثالثة والعشرين .. في السنة الأخيرة في الجامعة

..

كان هو من التقطها بعد نقاش مطول دام بينهما حول حرمة التصوير من

عدمه .. أنهى النقاش عصام بقوله : التقطها يا محمود .. لربما كانت الصورة

الوحيدة التي تلتقطها لأحد..

بعد أن التقطها له سأله عصام : مع من شريت هذه الكاميرا ؟ والله لا يخرج

منها صاحبك آية الله ذاك..

ابتسم حينها لفراسته وقال : نعم .. هو مهدي عبد الرضا .. صاحب خبرة في

آلات التصوير يا عصام..

ابتسم عصام وقال : وغدا يصبح صاحب خبرة في أشياء أخرى إذا عاد إلى

كربلاء..

هذا إن عاد إلى كربلاء.. وضع الصورة في موضعها وأغلق زجاج المكتبة عليها

..

وفتح التلفاز ليجد مهدي معمما بعمامته السوداء : لقد أصبحنا أصحاب

خبرة في التعامل مع هذا الفكر .. تجربة تفجيرات كربلاء علمتنا هذا..

تنهد تنهيدة طويلة وتطلع إلى نقوش الحائط البنية امامه:

بنفسى أنت يا عصام .. طبت حيا وميتا. .

في الصباح جلس على مقعده المفضل في الجامعة .. ينتظر المحاضرة ولم تكن

هذه عادة أبدا لبراء .. كان يأتي على الموعد تماما .. لا قبله ولا بعده .. فاجأه

صوت أحمد من خلفه : براء يأتي باكرا ! ماذا حدث للدنيا ؟!

ابتسم في ود وقال : لا شئ .. أحببت أن تتي باكرا .. ومع رحيل الطاغوت عبد

الكريم أريد ان أكون في استقبال من يخلفه

قال أحمد : تقصد من ستخلفه ..

ابتسم : وامرأة أيضا " فخلف من بعدهم خلف! "

قال احمد : لا لقد درست خالد من قبل يقول انها رائعة .. فيما عدا قضية

الالتزام بالطبع ..

زم شفتيه فى تعجب : من ؟

قال : سيرين رياض .. راهبة الهندسة كما يقول خالد..

خلع منظاره ليمسح عنه غبار علق به : سيرين؟؟ لا غيرها ؟

ابتسم احمد : تعرفها ؟

قال فى وجوم : ربما .. ربما أعرفها..

واحترم احمد سكوتا لم يعهده بصاحبه..

كان براء يفكر فى عمه عصام .. هو الذى سماه براء .. هو الذى أورثه تلك

النظرة الذئبية الحادة بن عم أبيه .. ورفيق دربه..

يوم دخل الهندسة منذ عامين وصلته هدية بالبريد لم يكتب عليها عنوان

للمرسل .. أو لعله كتب ولكن محى فى طريقها إليه .. كان طردا بريديا يحمل

"معالم على الطريق " ورصاصة من الفضة .. وبطاقة صور خلفها جامع الملك

فيصل باسلام اباد

كتب عليها بخط لا يشبه غلا خطه هو

على طريق إليك معالمه .. لقد كبرت يافتى .. ابو البراء .. عصام ..

أفاق من تفكيره على صوت هادئ ناعم يلقي السلام .. كانت امرأة تتعدى

الأربعين بثلاث او أربع سنوات لا تزيد ..

شعرها بنى قد قصته بشكل يليق بعمرها .. عينيها دافئتان لا تحمل إلا بقايا

لألم .. ترتدى منظارا طبيا .. جميلة لم يفن الزمن جمالها .. بها أناقة طبع تليق

بمثلها ..

عندما وقع بصرها عليه ابتسمت في ود .. كان يجلس في الصف الأمامي

فأبعدت مكبر الصوت عنها وقالت : كيف حالك يا براء ؟ أوأ برأسه بأدب

وقال الحمد لله ..

أشاحت بوجهها عنه طيلة المحاضرة .. لشدة ما تذكرها تلك العينين بعينه

.. وذاك الأنف .. وتلك النظرة الحادة التي قدر الله لها أن ترها يوم تحب

.. أحست بالأم يتسلل إلى قلبها فشدت على يدها ..

تذكرته وهو يطرق برأسه أمامها ويهزها ببطيء.. لو أنى أختار الدنيا لأجل بشر

لما اخترتها لسواك.. ولكنى لا أختارها...

بعد ان انتهت المحاضرة تحلق الطلاب من حولها.. وكان بها سمت ودود قد كبر

مع السنين..

أشارت إلى براء بإصبعها أنها تريده بالخارج..

وهو يقف امامها ليسألها ببصر خفيض : خيرا يادكتورة.. ذاك البصر الخفيض

..ذكرها بتلك العينين..

لم يتطلع إليها يوما إلا مرة واحدة.. وكانت لخمس دقائق كاملة.. بعدها أطرق

وقال : ومالى إلا ان أستعصم!

عندها ابتسمت وقالت : او تستطيعه يا عصام؟

قال : هبني شيئا من ثقتك ! نعم أستطيعه ..لأننى استعصم بالله..

لا بعينين تصيباني بالغرق..!

التفتت إلى ابن أخيه الواقف أمامها : مفكرات عصام تنقص واحدة .. ثمّة
حلقة مفقودة فى المنتصف .. لم أقرأها جميعا لكننى مررت عليها.. قال فى
خجل : استبقيت واحدة .. بالطبع سأعطيهالك .. أردت قراءتها فحسب ..
فى بساطة أدهشته فتحت حقيبتها وأخرجت مفكرة خضراء قديمة من مصحف
أقدم وقالت : خذ هذه واعطنى التى عندك .

قال : آتيك بها غدا .. واستأذنها ليغادر .. قالت فى ود : تشبهه كثيرا يابنى
...أبلغ سلامى لوالدك ..

السواد الذى ترتديه جعله يفكر : أحداد هو ؟؟

فتح المفكرة على المنتصف .. ليجد وريقة بيضاء كتبت عليها ألحان الشيخ إمام
"تجمعوا العشاق فى سجن القلعة"

وفى آخرها فى الوجه الآخر .. ونخط أنثوى ناعم .. لا عليك من كلام المغفل

إبراهيم .. والله ما فى الدنيا أنقى نفسا منك .. ستعطينى ديوان إبراهيم عزت كما
وعدت .. سيرين ..

طوال اليوم فى الجامعة وهو يفكر : عمه وهى ؟؟ عجبىة هذه الدنيا..!

فتحت له الباب امه عندما عاد غلى منزله ..ضحك فى دهشة وقال : السيدة

صفية !؟

تكرمت علينا وعدت إلى المنزل متى؟

قالت وهى تدفعه للدخل : ادخل يا احمق .. لم يكن هذا اسبوعا الذى

تركتمكما فيه..

قال : أم براء ..صحى حسابك ..أسبوع ويومين..

قالت : شقيقتك وجدتك بالإسكندرية ..ألا أذهب إليهما ..وأنتما ماشاء الله

شخصان ناضجان تتحملان المسئولية..

ابتسم فى خبث وجلس متربعا على مقعده المفضل:

أنا أتحمل الغياب ..لكن الغالى محمود حياته من غيرك فوضى ..قال فوضى

بالإنجليزية وهو يقلب السين فى نهايتها ثاء..

قالت وغدا تصبح حياتك "مث" بدون امرأة ما ..بالقطع لم تكن على وفاق
مع والدتها..

قال فى تهكم : "أرى عزة النفس لى أفتنا"

قالت : الله الموعد سبحانه ..قم لغدائك ..تغديت أنا ووالدك..

قال : أنا صائم..

قالت : الحمد لله رزقنى بداوود يصوم الدهر ..إفطارك فى المطبخ..

رآها ترتدى حجابها ..وقبل أن تسدل غطاء وجهها قال فى ذهول :

ستخرجين؟؟

قالت : درس المسجد يا "داوود" علام تحسب أنى عدت مبكرة؟؟

فتح التلفاز وقال : جزاكم الله خيرا ..كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..

أدهشه التفاتها إليه بحرص حقيقى : لو شئت لم أذهب يا بنى ..رعايتك اولى

عندى..

قال :لالالالالالا ..انا فقط أمازحك ..سبحان الله لا يمزح معهن ابدا

..سأوصلك أنا...

عندما ركبا السيارة شغل المسجل تلقائيا ..كان صوت أبو مازن الذى تربى

عليه "ملكنا هذه الدنيا قرونا"

تطلعت إليه والدته وقالت : تعلم .. كل ما حلمت به لولدى من قبل كنته أنت

..رضى الله عنك..

فى خجل تتمم : لم تكن هذه توصيلة يا أم البراء.. وهى تنزل من السيارة قالت

:مر على بعد صلاة العشاء ..حسنا؟أوما برأسه لها أن نعم.. لم يغادر إلى

منزله ليفطر ..فتح مفكرة عمه التى لم تغادر جيبه بعد..

"ما الذى يرتقى ببشر من طين ..بشر عاجز..ضعيف ..مخلوق من طين

..ليصبح يوما أعظم مخلوقات الله عزوجل

أعظم من جبال الدنيا ..وسماواتها.. ذاك سر الإيمان ..الإدراك بأن

أرواحنا هى نفحة إلهية..

فيغدو الطين نورا. "محاضرات د.عزام"، كتاب الخميني الذي يخص

مهدي .. لا بد ان أنهى قراءته

"اليوم عيد " لسيرين.. ما كنت أعرف ماطيب العناق على الهوى ...حتى

ترفق ساعدى فطواك!!!

هداك الله يامنعم!

أخذته القراءة حتى استوقفته كلمات قلائل متناثرة..

كتبت بقلم رصاص ..وبخط صغير كأن الكلمات لاتصدق أن صاحبها أفرج

عنها وأخرجها من قلبه ..فرضيت بأى صورة

"أحبك لا تفسير عندي لصبوتى ..أفسر ماذا والهوى لايفسر"

عقلي يينازعنى فيك.. أما قلبى فأعلم أنه ياذن ربى طيب لا يقبل إلا طيبا..

أعلم أنك لا راحة لى إلا على كتفك.. ولكنها راحة دنيا فحسب.. وأنا

أريدها راحة دنيا وآخرة..

تبقين المرأة الوحيدة التي أردتها دون كل نساء الدنيا .. لا قبلك ولا بعدك لكنني
أريد الآخرة أكثر..

عندها أذن المغرب .. فأغلق المفكرة وعاد برأسه إلى الوراء .. والله ما أفطر أحد
على مثل ما أفطرت..

على سر عصام الشرقاوى..

نزل من السيارة وأفطر من برادة الماء التي تجاور المسجد .. صلى المغرب وهو في
سجوده .. همس بكل الحزن الذي في قلبه

يارب .. لم يرد راحة الدنيا بغير الآخرة .. يارب أرحه في الآخرة..

عندما خرج من المسجد اشترى كيسا من الحلوى الحامضية التي يعشقها

وزجاجة ماء .. وهو يمسك الحلوى تراءى له وجه أمه وهي تقول : ستبقى تحب

هذه الحلوى حتى تاخذك قدماك ذات مرة إلى بيت الحلوى لتستعبدك الساحرة

الشريرة..

ابتسم وهو يفتح باب السيارة وقال : سأستعبدها انا حينها!

أغلق على نفسه باب السيارة جيدا .. وأغلق النوافذ .. بحث في درج شرائط

السيارة ليجد شريطا لأبي عابد .. شغله

وغرق مع المفكرة من جديد ..

"المجتمع الذى رضى أن يقاد الآلاف من شبابه فى ليلة واحدة إلى السجن

الحربى وسكت ..

ألا يستحق بكل تقدير وصف الجاهلية الذى اطلقه عليه سيد رحمه الله ..

أتسائل فحسب . "آه ياخى وآه ياخى .. بس آه لو كنا زى ..

كنا لو كان الخمينى عمنا .. والمعارضة يد واحدة عندنا .. دسنا شاهنا وأمريكاه

بنعلنا"

نحتاج رجلا بذات التأثير الروحى للخمينى .. نحتاجه حقا" .. بلغت الثانية

والعشرين ولم أعرف بعد كيف هى البندقية؟؟

يارب .. لا تمتنى إلا وهى على صدرى"

وهنا تذكر صورة مقتل عمه في معقله في الجبال .. ذاك الذى اغتيل غدرا
.. والرصاصة بين عينيه والبندقية على صدره .. ولم يكن ثمة أحد ليخفى مشاعره
التي اعتادت على الحبس ..

وفي ذلك الشارع الطويل .. الخالى من الاضاءة إلا قليلا .. وتحت الشجرة
الخضراء الكبيرة ..

بكى .. كمن لم يعرف بكاء في حياته قط .. وبكى .. وبلت الدموع مقبض
السيارة الذى استند عليه .. وهمس .. وأنا يارب .. وانا ... لا تمنى إلا وهى على
صدرى .. يارب .. صلى العشاء كمن يصلى للمرة الأخيرة ..
عادة الصلاة التي تعقب بكاء تكون أرق صلاة قد يصلها إنسان .. الدموع
تصنع نوع إنكسار فى النفس .. إنكسار المحتاج .. تشعر أنك مهما بلغت
فأنت ضعيف ..

تحتاج ان تتقوى بالله .. مهما بلغت .. فأنت ضعيف ..

لما دخلت امه السيارة بعد الصلاة رأت كيس الحلوى قارب على النفاذ

..وزجاجة الماء ..ووجهه منقبض ..عينيه مبتلتان..

لم تعلق ..فقط ربتت على ذراعه وقالت ..تأخرت عليك ..لابأس

في الصباح وضع المفكرة على مكتب سيرين ..وهم بالخروج..

لكنها دخلت حينها ..ابتسمت لما رآته وقالت : براء ..أتيت بالمفكرة صحيح

؟

أوماً بنعم ..وكان الدموع قاربت على التجمع في عينيه . كان في حالة ربانية لا

يشبهها شئ ..قالت عندها : شكرا ..شكرا يا بنى

لم يدر ما حمله حينها على قول هذا:

اعذريني سيدتى ..لكنك كنت الدنيا بالنسبة له ..أنت فحسب

اطرقت برأسها في صمت ..ثم قالت : وكان هو لى الاثنين معا يا براء..

كان دنيای وآخرتى..

واشارت غلى يدها الخالية من خاتم زواج ..لا آخرة لى إلا معه..

هز رأسه بعدم إيمان:

وما الذى منعكما عن الدنيا ياسيدتى؟؟

ابتسمت فى ألم وقالت : يا براء ..الدنيا لم تسعنا معا .. كنا نحب .. نعم

..لكن كل شئ كان يقول لا..

هو وأفكاره ..وأنا وأفكارى .. كانت الدنيا تتناطح حينها..

قاطعها : لو أردتما..

قبضت على يدها وقالت : لو أردنا يا براء ..لما كان لهذه العلاقة وجود من

الأساس .. كانت دقائق مسروقة من السياق الأصيل للحياة..

الدنيا لا تسير كما نريد ..أبدا لا تسير كما نريد

اعتذرت هى حينها منه بمحاضرة لديها..

أما هو ..فاستند إلى السور أمام باب المكتب ..فى أعماقه صوت يقول "ممكن

" ..كانت هذه العلاقة لتستمر..

لكن عمه لا يتنازل ..وجهه لا يتنازل..

وما كانت هي أيضا لتنازل حينها..

رن هاتفه رنينا متقطعا .. كان أحمد..

هتف أحمد أول ما رآه : الله أكبر يا براء .. ساعة لتأتي..

قال في هدوء : أعتقد أن اللقاء بعد عشر دقائق .. قال أحمد : ألم أقل لك

تعال مبكرا لتختار الكلمات التي سنكتبها..

رفع حاجبيه وقال : متى قلت هذا ؟

ربت أحمد على كتفه وقال : عندما هاتفتك بالأمس..

عندها أدرك أنه لم يكن في الدنيا بالأمس .. كان غارقا مع عمه .. وذكرياته

.. وحينه..

قبل رأس أحمد لأول مرة ربما في حياته وقال : آسف يا أحمد .. لم أكن بحالة

جيدة بالأمس .. ربت أحمد على كتفه : لا عليك

...

عندما عاد إلى منزله كان خاليا .. والدته عند جدته لوالده .. ووالده في مكتبه

الهندسى .. كانت الساعة تقارب السادسة مساء ..

ألقى بكتبه على الأريكة .. وبنفسه على كرسیه المفضل ..

وكأنه غفا قليلا .. واستيقظ على رن الجرس المتصل :

كانت عينيه مغمضتين وهو يحاول فتحهما عندما فتح الباب ... وكان يقول

: ولم اخترعوا المفاتيح إذن ؟

انتبه للصوت ذى الرقة والحسم فى آن واحد : لكننى لا أملك واحدا ..

أدار وجهه لبيتسم ثم قال بوجه جامد يميل إلى السهولة قليلا :

سلوان ؟ أمى ليست هنا

أشارت إلى الحقيبة الكبيرة بيدها وقالت : وماذا سأفعل بحقائبي هذه .. أعود

إلى الإسكندرية إذن ؟

قال : لا .. تفضلى ..

سأنزل لأخبرها أنك جئت ؟ تريدین شیئا أحضره معی؟؟ قالت : لا .. جزاكم
الله خيرا..

وهو ينزل السلام قالت : براء ..التفت ..قالت : أحضر معك حلوى

بالبرتقال ..لقد نسيت أن آتی بها

سمعت حوقلته فأغلقت باب البيت..

كانت سلوان ..ابنة عمته .. كانت أمه من أقرب الناس إليها ..واعتماد أن تأتي

بين الحين والآخر لها ..قبل خالها..

تشبهه ..شكلا وموضوعا ..إلا انها أكثر تساهلا منه ..الكل يتخيل أنها تحبه

..أو أنه يحبها ..والأمر ليس كذلك..

ليس كذلك أبدا..

سلوان ترى فيه نفسها ..وعندها أن الحب لا يأتي إلا مع المخالف .. لا الشبيه

..وهو كذلك ..تصغره بعامين ..تدرس الأدب الإنجليزي ..تستشهد دائما

بالشعر العربي على خلاف دراستها .. تعرف أنها فاتنة .. ومع التزامها هذا الذى

يقارب براء .. إلا أنها لا تتورع عن استخدام فتنها إذا أرادت ..

كانت تكفى نظرة واحدة فقط من عينها .. نظرة كسيرة تتقن الإتيان بها

.. لتنال ما تريد ..

كان دأبها مع الجميع ..

وما كان أحد يعرف أنها تتعمد هذا سواه .. الكل يظن أن هذه طبيعة فيها ..

كان دائما يذيل كتابته إذا اهداها شيئا فى العيد أو غيره ..

وبعد كل شئ .. وقبله .. اتقى الله فى نفسك ..

عندما تركها فى البيت سارعت إلى مكتبته .. التى تحتل جدارا كاملا فى غرفته

.. أدهشها أنها منظمة على غير المعتاد .. وأخيرا وجدت ما تريد ..

"ماضون رغم الجراح " .. كتاب من مطبوعات الندوة العالمية للشباب

الإسلامى ..

تحفظ قصص تقريبا ..ومع هذا فهي تعيد قراءته كل مرة ..جلست على كرسى

المكتب ..واستغرقت فى القراءة كالمعتاد .. لم تفق إلا على طرفته على الباب

..عدلت حجابها وقالت : تفضل..

قال : بالطبع اتفضل ..غرفتى إن نسيت هذا..

يا الله ..قلت لك خذى هذا الكتاب وأريجىنى..

قالت وهى تقوم لتغادر الحجرة :لا متعة فى قراءته إلا هنا ..لقد اتت خالى

إذن..

قال : ستكلمينه ام أعيده ؟

قالت : لا دعه ..سأعود له..

ضممتها خالىها بحنان .. كانت تراها بنتها الثانية بعد بثينة ..ابنتها الكبرى..

قالت فى ابتسامة : لقد ازعجك براء ..أعرف هذا..

قالت : لا والله ياخاله ..لقد اكتسب أدبا غريبا هذه المرة .. لم يسب عندما

أخبرته بأمر الحلوى..

..

بعد الشروق بقليل كان عائدا من المسجد .. كما هي عادته صبيحة الجمعة ..

ترك والده في المقرأة .. هذه الأيام يحاول الوصول إلى رأى أصوب في قضية

الذكر الجماعى وعدمه ..

وهو يفتح باب البيت تراءى إلى سمعه صوت أغنية ما .. كان التلفاز مفتوحا

وأحد الكليبات التى لطالما وصفت حينها بالتحلل على الشاشة ..

وسلوان جالسة أمام التلفاز ..

قال بهدوء من يكظم غيظا يوشك على الانفجار : سلوان .. أغلقى التلفاز

.. أو غيرى القناة ..

التفتت وقالت : غض بصرك ..

ضحك ضحكة عالية وقال : لا افتن بهذه حتى أغض بصرى فى الأصل

.. أغلقه لو سمحت ..

قالت : انا لأرى هذه الحرمة الرهيبة فى الأمر ..هناك بعض المعاصى أشد وأسوأ..

اغلق التلفاز هو حينها وقال : نقاش على الصباح ..لا حاجة لى به ..هذا أولا ..ثانيا يا فاضلة ..يا أخت ..لا يليق بك هذا..

قالت : أيليق إذن أشعار نزار التى عندك..

قال : أنت غبية فعلا ..هذه نقرة وتلك أخرى ..ثم متى رأيتنى أقرأها ..مرة او مرتين فى العام ..بعض حلاوة الروح كما تسمين ما تفعليه الآن..

قالت : غبية ! طيب..

صحيييييييح ..ذكرتنى ما كنت أريد سؤالك عنه ..جلس على كرسية

مقابلها وقال : اين أمى أولا ؟

قالت : فى المطبخ ..لم ترد أن اساعدها..

ابتسم فى تحكم وقال : بالطبع لا تريد أن تحدث "مث " فى مطبخها..

عن ماذا تريدین السؤال ؟

قالت : عن خالى عصام .. علمت أنكم نفذتم وصيته التى اوصى بها أخيرا..

كيف هى ؟

علم أن الحديث فى الأمر سيجلب له الما لاجاجة له به .. فأشاح برأسه وقال :

غيرى السيرة..

قالت : براء .. لأجل خالى محمود .. أخبرنى عنها .. لا اعرف اسمها حتى!

قال : اسمها سيرين .. تدرسنى فى الجامعة..

فجأة اندفعت الذكرى إلى عقله ووعيه .. "يارب لا تمتنى إلا وهى على صدرى"

فأخفض رأسه وهو يغالب نفسه:

سلوان .. رضى الله عنك وأنالك كل ماتريدين .. بالله لا تسألينى الآن..

علمت ان ثمة أمرا مرا فى صدره .. فسكتت .. ألقت له بجهاز التحكم وقالت :

اظن أن برنامجا لعائض القرنى يأتى الآن..

وقامت..

كان الوقت قد قارب الخامسة عصرا عندما كان مهدي يدخل الحرم الحسيني

في كربلاء .. طلابه في الحوزة وزوار المسجد .. الكل يتسابق كي يقبل يده

.. ويسحبها هو بسرعة .. تواصله جزء من نفسه لا ينفك عنه ..

قبل اعتاب الضريح كعادته .. وسلم على صاحبه ..

وقف يدعو قليلا ثم جلس .. جلس أمام الضريح مباشرة وحوله الناس .. واستند

برأسه إليه .. تنبه إلى صبي صغير شق جموع الناس ليجلس إلى جواره في النهاية

.. شد على يده وابتسم وقال : ما اسمك يا بني؟؟

قال الصبي في ابتسامة من لا يصدق ان هذا الرجل .. المرجع .. يحادثه بهذه

البساطة:

عصام .. اسمي عصام ..

قبل رأسه طوييييييلا .. ودعا له ..

عندما جلس الناس يتحدثون إليه .. يسألونه ويجيبهم .. يستفتونه .. لم يكن يرى
في الوجوه إلا وجهاً واحداً يخلع منظاره الطبي ويقول بابتسامة صادقة : تعرف يا
مهدى ..

نحن نختلف كثيراً .. وكثيراً جداً ..

لكنني أحبك .. صدقاً أحبك ..

في طريق عودته كان مرافقه هو الذي يقود به .. أسند رأسه إلى الزجاج وراح مع

الكلمات

"كذب السيف حين قال وردد .. هاآنا اذبح ابن بنت محمد

عندما عاد إلي بيته في قرابة العاشرة دخل إلي مكتبته مباشرة .. أطلت عليه

زينب من الباب وقالت : هكذا .. تدخل هكذا بلا سلام .. هنز رأسه في وجوم

وقال : تذكرين عصام .. عصام علي الدين .. عصام الشرقاوي ؟

جلست علي الأريكة أمامه : عصام المصري .. ما الذي ذكرك به ؟

أطرق برأسه وقال : اشتقت إليه .. اشتقت إليه فحسب ..

قامت إلي مكتبه الخاص وقالت وهي تخرج علبة خشبية سوداء : لعل هوايتك
القديمة تريحك..

قبلت رأسه وخرجت.. شغل جهاز الفيديو ووضع الشريط الوحيد الذي يجاور
الصور القديمة..

كان عصام جالسا علي مكتب غرفته وبجواره محمود وعبد المنعم.. ولأول مرة في
حياته مع عصام منذ أن عرفه منذ أربع سنوات يسمعه ينشد بصوته.. كانت
صوته مع صوته وهو ينشد تأخذان بالألباب..

كان يدق بأصابعه علي المكتب.. أخي سوف تبكي عليك العيون.. كان
يتلاعب بلحنها قليلا ليكون أسرع..

عندما أنهاها ألح عليه منعم بالإعادة.. اكتفي عندها بهز رأسه في إغاطة معتادة
..وقال : هذا فقها من باب ملاطفة الإخوان يا منعم.. قاطعه مهدي الذي

كان يصور وهو يعطي الكاميرا لمنعم ليكمل بدلا عنه : أسمعني يا ظبية البان
إذن.. وجدتها عندك في أوراق محاضراتك..

ضحك في صدق بالغ وقال :عرفت أنها لا تفوتك .. كان يحفظها كاملة

فقالها بدون أن ينظر إلي أوراقه حتي..

قال محمود : لكن عينيها كذبتة ..قال عصام عندها : لا ..تكذبان لتوقعه

أكثر ..لا لتبعده..

بعض النساء يطيب لها أن تمنع صاحبها ما يريد إذا كان في المنع زيادة تعلق بها

..فهي تعلم أن الإنسان في الغالب أسير ما منع.. قال محمود : وأنت ماذا

تقول ؟

قال عصام: نعم أنت فاتنة إنما ..أري عزة النفس لي أفتنا..

عندها قال مهدي : دعك منه يا محمود ..هذا كل فلسفته تذهب عند من

علمتها..

أشاح عصام برأسه وقال :والله ما أظن أن أحدا سيدرك أمري معها" ..

أغلق جهاز التلفاز وأخرج الشريط..

كان يدرك ما الذي عنته سيرين لعصام..

في عصر أحد الأيام الخريفية الباردة كان عصام أشعلها نارا مع أمن الجامعة

الذي تدخل في مساجد الجامعة أكثر مما ينبغي .. كانت كل الجماعات

الإسلامية قد فوضته بالحديث باسمها في ذلك اليوم ..

بعد أن تم له ما أراد لم يقف مع إخوانه كما هي العادة ..

رآه يجلس إلي جوار سيرين صامتا لا يتحدث .. وهي تبسم في حب وهي

تحادثه ابتسامة من يريد التخفيف عن أحد ..

يومها أدرك ماهي لعصام .. أدرك أنها المرفأ له .. أنها شاطئه .. الذي تسكن

عنده الأمواج العتية لحياته ..

يومها رأي عصام في صلاة المغرب هادئا ساكنا نقياً .. فصار الإدراك لديه يقينا

..

استجمع أفكاره وأمسك سماعة الهاتف بيد ومفكرة قديمة نسبيا بيده الأخرى

..

بعد دقائق مرت عليه كالدهر كان يدون رقم محمود الجديد.. ضغط الأرقام

بثبات بطيء وهو يهمس بحقك يازهران..

فاجأه صوت الشابة الحاسم علي الجهة الأخرى : وعليكم السلام..

قال بود : انت ابنة محمود ؟ لهجته العراقية الصرفة فاجأت سلوان لكنها قالت

بهذوء : لا .. أنا ابنة أخته..

قال : ابنة عبد المنعم إذن .. قالت باندهاش : نعم..

قال : ما اسمك ؟ قالت : سلوان..

قال باشتياق : أبلغني الوالد سلامي ..قولي له مهدي الموسوي ..أحداث

خالك أم أنه ليس هنا..

قالت : خالي عنده درس في المسجد الآن ..لكن ابنه براء هنا ..دقائق..

كان براء عندها يعكف علي كتاب فقهي يتدارسه في المسجد ..فاجأه دخول

سلوان : براء براء ..صاحب للوالد علي الهاتف..

رفع السماعة : السلام عليكم .. ابتسم مهدي عندها في عزاء .. كان صوته

نفس صوت عصام .. نفس النقاء ونفس الحدة

رد مهدي السلام وقال : كيف حالك يا بني ؟ رد براء في توجس : الحمد لله

.. قال مهدي : لا أطيل عليك يا بني .. أخبر الوالد أنني سأتي الأسبوع القادم

إلى مصر .. وبودي لو اجتمعت به هو ومنعم وضياء ..

قال براء : معذرة ياسيدي .. من لأخبره ؟

قال : مهدي .. مهدي الموسوي ..

قال براء : ال ... قاطعه مهدي : نعم أنا .. صاحبهم الكريلائي ..

كان براء سيقول : الكلب الخائن .. لكن أنقذته مقاطعة مهدي ..

عندما أنهى مهدي الحديث قالت زينب : وجدته ؟

قال : من ؟

قالت : عصام .. صديقك .. ألم تكن تهاتفه ؟

قال في ابتسامه أثقلها حزن السنين : ألم أخبرك بقية الحكاية .. قالت : أها

بقية ؟

قال : تعرفين من نقاتل هنا .. الجهاديين العرب .. تلاميذ أبو البراء المصري

.. تلاميذ كتبه وتسجيلاته ..

اتسعت عيناها في ذهول : نعم ؟

قال : ذاك عصام .. كان رأسا في كل أمر يدخله .. ما كان له أن يكون ذيلا

أبدا ..

قالت : أراك مفتون به ..

قال : لا .. ليست فتنة .. عصام يوم عرفته أدركت ما الذي عناه القائل : كذب

الموت فالحسين مخلد ..

عصام كان ثائرا .. حديثه ثورة .. وكتاباتة ثورة .. كان يشبه حسن الشيرازي

.. به تلك الروح التي لا تنطفئ .. لا تنطفئ إلا بالموت ..

كان محمود يدخل بيته عندها .. أول ما رأي سلوان قال : تعرفين ما أحضرت

لك .. كتاب أخبار النساء ذاك .. الذي منعك براء من أخذه من مكتبته ..

نطق براء الذي كان واضحا عليه تركيزة الشديد فيما يقرأ وهو جالس علي

كرسيه بمنتصف المجلس : افعلها يا أبي .. هي تفعل ما تفعل بالفطرة .. امنحها

دليلا إرشاديا .. دليل مستخدم ..

قال أبوه : ما يضيرك أنت ؟

قال براء : يضيرني شفقتي علي الأشقاء الثلاثة بالأسفل .. أراهم يرابطون في

البيت كلما أتت .. اتقي الله فيهم إن لم تتقيه في نفسك يا سلوان ..

احمر وجهها وقالت : سبحان الله .. والله لا أسلم كلما رأيتهم إلا كإخوتي ..

قال براء : دعني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أطعم لها بلبان ..

قال والده : أستغفر الله .. أظنك أثقلت عليها وافترت ..

أحد نظرتة تجاه سلوان وما كان " يراها " وقال : افترت عليك ؟

قامت إلي غرفة والدته وقالت : لا شأن لي بك .. أظن أن خالتي أنهت صلاحها

..

قال براء : أنستني ما كنت سأقوله .. لم تقل لي أبدا أنك تعرف مهدي

الموسوي الخائن .. التفت إليه والده في حدة : مهدي؟

قال براء : هاتفك وأنت في المسجد .. وقال أنه يتمني رؤيتك أنت والعم

عبدالمنعم والعم ضياء .. سيأتي إلي مصر قريبا .. أعطيته رقم هاتفك المحمول

.. في النهاية لم تخبرني أبدا أنك تعرفه ..

التفت إليه والده : وما الحاجة ؟

قال براء : اكتشفت أنني لا أعرف عنكم أشياء كثيرة بدعوي عدم الحاجة

.. مثلا عمي عصام ود. سيرين .. هذه لوحدها قاصمة ..

تمتم والده : أستغفر الله .. يا براء .. بعض الأوجاع يحسن تركها نائمة فلا توقظها

..

وعندما رأي والده هكذا سكت .. إلي حين ..

في الصباح كان يفطر بسرعة لينزل إلي جامعته .. قال لسلوان ؟ أمالك جامعة

تذهبين إليها ؟

قالت : لا .. لن أذهب للجامعة هذا الأسبوع .. استأذنت من أبي .. سأقضيه

لديكم هنا ..

وضع كوب الشاي الذي هم بشره أمامها وقال : تمتعي بآخر أيام ضيافتك

هنا إذن .. بعد الثالث لا ضيافة ..

قال والده : لا بأس عليك ياسلواني .. إنه يغار منك فحسب ..

ضحك وأخذ كتبه وقال : الله المستعان ..

بعد محاضرة سيرين خرج بعدها مباشرة .. أعطائها مفكرة عمه التي احتفظ بها

سابقا ..

قال وهو يطرق برأسه : لي إليك طلب .. إن أذنت ..

قالت : كل ما تريد يا بني ..

قال : أنت وعمي .. كيف كان لكما ما كان ..

قالت :مشغول أنت الآن ؟

قال : بالطبع لا..

لم تجلس علي كرسي المكتب ..بل جلست علي الكرسي المقابل له ..فتحت
نفس المصحف الذي أخرجت منه المفكرة في ذاك اليوم القريب .. كانت صورة
قديمة..

كانت تصور أحد مدرجات الكلية ..في أيام الدراسة ..والواقع أن الناظر
للصورة سيعرف مباشرة من أراد المصور أن يظهر فيها تحديدا ..كانا اجتماع
النقائض..

كانت سيرين ترتدي قميصا أخضر ..بدا فاتنا علي وجهها ..شعرها كان
أطول قليلا..

وكانت تجلس إلي جوار عصام ..كان يشبه براء ..بغير المنظار الطبي ولحيته
أطول قليلا ..لم يكن ينظر إليها مباشرة ..كانت عينيه متعلقة بشئ ينجزه في
يده ..ويبتسم ..أما هي فكانت تتطلع إليه ..كلها يتطلع إليه..

قالت : لم يعلم أبدا بأمر هذه الصورة ..التقطها مهدي لنا قبيل اختباراتنا

النهائية في السنة الأخيرة ..تعرف مهدي ؟

قال : مهدي الموسوي ؟

قالت : نعم .. كان أقرب لأبيك وعبدالمنعم من عصام ..ومع هذا فقد كان

بإمكانك أن تزيح الشمس من مكانها إذا اجتمعا .. كانا يضيئان الدنيا

..خاصة إذا تحدثنا عن الخميني والثورة أو عن الحسين..

بالطبع عصام كان بعيدا عن الإمامية فكريا حينها وابتعد أكثر بعد ذلك

..لكنهما كانا يتشابهان ..جدا..

أول مرة رأيت فيها عصام كان خارجا من مسجد الكلية .. كنت في السنة

الثانية..

قاطعها : أول مرة؟!!

قالت : كنت محولة من جامعة أخرى..

رأيته خارجا من المسجد يسوي أكمام قميصه الأبيض .. ويتطلع إلي ساعته في
سرعة .. أما أنا فكنت أطوي الحجاب الذي أحضره معي لأصلي وأضعه في
الحقيبة ..

الغريب في الأمر أنني كنت أرتدي مثله تماما .. قميص أبيض وبنطال أسود
.. نظر إلي في ذات الوقت الذي نظرت فيه إليه .. ثم أخفض رأسه وابتعد ..
تعرف يا براء .. ثمة لحظة تعرف أن حياتك قبل هذا الشخص لن تكون حياتك
بعده .. ذاك حديث الرومانتيكيين .. ولم أكن منهم أبدا .. ولا عصام أيضا
.. لكنني شعرت يومها بشيء عجيب .. شعرت أنني أعرفه .. تعرف شعور الوطن
يا براء .. شعرت كأن نافذة فتحت أمامي لأري وطني .. رأيته من بعيد فحسب
..

تجاهلت ما حدث بالطبع .. وسرت إلي مدرجي .. وسمعت صوته من خلفي
.. هامسا صارما .. لا مجاهر أو مخافت .. لا ينادي .. بل يتحدث إلي أحد

بجواره : سيرين ..التفت إليه : وجدته يناولني كتابا أسقطه مني في تلك اللحظة

الفارقة ..قال بنفس صوته ذاك : كتابك ..

لا أدري هل شكرته أم لا ..تمت ببضع حروف لا معني لها ..وما انتظر هو

ليسمع جوابا ..تركني ومضي ..

في الأيام التالية لما حدث .. كنت أراه بين حين وآخر .. رأيتة مجتهدا .. رأيتة

محاورا رائعا .. في أحد الصباحات دخلت متأخرة قليلا .. وكان بجواره مكان

شاغر .. عرفت فيما بعد أنه كان مكان والدك .. لكن عصام أجلسني بجواره

.. ورأيتة عن قرب .. كان كتابه يحمل توقيععا له بجبر أسود .. وسطرنا صحائف

من ضياء فما نسي الزمان وما نسينا ..

كانت لحيتة سوداء كسواد الكعبة .. وعيناه في زرقة السماء .. يشبهك جدا

.. ألا يخبرونك بهذا ..

في ذاك اليوم كان عصام قريبا .. قريبا جدا .. كان الأستاذ الذي يدرسنا شرحه

.. وأومات برأسها في هدوء .. كان سئ الشرح .. أخذته الحماسة وهو يصف

روعة شرحه والأجيال التي تربت على يديه .. عندها قال عصام في خفوت :

أستغفر الله .. أكمل أمجادك أكملها .. كنا نجلس أمام الدكتور مباشرة ..

فتحت دفتر محاضراتي وكتبت : أسيظل هكذا طويلا ؟

ابتسم وخط بالقلم : لا .. نصف ساعة فحسب .. زكاة شرحه والله المستعان

..

عندها سألته ما كنت اريد أن أسأله عليه مذ عرفته:

أعرفك من قبل؟؟ أطرق برأسه وهزها قليلا ثم كتب : كما أعرفك ..

ستتعجب يا براء إن أخبرتك أنه سكن قلبي منذ الك اليوم .. ببساطة شديدة

.. جلست على جواره بعدها كل الأيام تقريبا .. كان لا يتحدث إلا قليلا

.. اقصد يتحدث معي ..

كان يأتي كل صباح فيبتسم ابتسامته الودودة القريبة التي لا أراه يبتسمها لحد

أبدا : السلام عليكم . كيف حالك ؟

وكنت أخبره عن كل شئ .. عن الزحام المرورى .. عن القطة التى خدشت
خشب النافذة .. فكان يتسهم ويقول : تعب كلها الحياة.. لم نتحدث أبدا
عما جمعنا .. ولم اشعر أبدا أن ثمة غرابة تغلف تلك العلاقة .. إلا بعد شهرين
تقريبا.

رأيته واجما ذاك الصباح .. واجما صامتا.. ولم نتحدث .. لم أجلس إلى جواره
كما اعتدت .. لكننى لم أر أحدا جلس أيضا..

فى صلاة الظهر التى كنت أؤديها فى الجامعة لفراغ الوقت حينها سمعت زميلة
لنا تقول : ايرضيك هذا يا منال ؟ نظن أنه لا يخطب أختا من الأخوات إلا
لأنه يرى أن هناك من هى أفضل منها دينا وخلقا ثم تأتى هذه لتأخذه منا!
ليرتبط بأى واحدة .. لكن هذه السافرة المتحللة.. ظننت أن الأمر سينقلب إلى
محاضرة عن الشرور الذى أحدثته فى الدنيا إلا أن صوت منال أسكتنى : اسمعى
يا فاطمة .. لا تظنى أن مثله يفعل حراما .. أو أنه يقبل خبثا .. هناك شئ ما

طاهر بها .. لاتحمله أى واحدة منكن .. ذلك الشئ الطاهر هو الذى جمعهما

..فهمت..

تطلع إلى الصورة وقال : هذه أمى..

ابتسمت وقالت : نعم ..أمك ..لذلك احبها جدا ..لأجل ذاك الموقف

فحسب..

كانت صادقة ونقية.. عندها قاطعها : أسألك سؤالاً سيدتى : قالت :

تفضل..

لماذا لم تكونى محجبة ؟

قالت : التربية يابراء ..أبدا لم اشعر أنه شئ مهم ..أو شئ ينبغى لى الالتزام به

..حتى عائلتى لم تكن بها واحدة محجبة ..أنا إلى الآن لأرى أنه ينقصنى شئ

..أنا كما أنا .. كما أراد لى الله..

قال : وعمى....

قالت : لم يطلبه منى أبدا ..أبدا يا براء ..وكأنه يرانى ولا يرانى..

نعم لم اكن أتجاوز مع أى من زملاء دفعتنا خارج الكلام المعروف بسببه
..ومازلت أحفظ له رغبته..

لكنه كان يرى الحجاب دين ..وأنه لايقبل ان يكون مقدما على الله سبحانه
وتعالى فى طاعته .. كان رائعا ..رائعا حقا..

قاطععه رنين الهاتف : يعلمه بمحاضرتة الآن..

اعتذر لها ..وهو يخرج التفت إليها وعاد : سيدتى ..إن أذنت لى ..الجامعة

لاتناسب ما أريد ..أستطيع زيارتك ؟

ابتسمت وقالت : تعال الخميس ..بعد العصر..

:الخميس بعد العصر عندى درس فقه أيمكن فى موعد آخر ؟

فى الصباح إذن ..أنا أستيقظ باكرا ..يوم الجمعة..

ابتسم فى عزم وقال : يوم الجمعة بإذن الله..

فى العصر كان لتوه عائد من الجامعة : ألقى بكتبه كالمعتاد على الأريكة أسند

رأسه على ظهر المقعد..

قالت أمه : براء ..الشيخ عبد الجليل هاتفك منذ قليل ..يريدك أن تذهب له

الآن ..عنده موعد مع الطبيب بعد المغرب..

هز رأسه كانه يفيقها : الله المستعان.. أخذ مصحفه وقام..

عند مدخل البيت قابل سلوان .. كانت تحمل قرابة الخمس أكياس بيدها

..للتو قد عادت من السوق ..من جولة طويلة في السوق.. قالت أول ما رآته

:براء ..احمل معى هذه الأكياس حتى أصعد..

ابتسم وقال : كيف حملتها في السوق إذن ..سأتأخر على شيخى ..سلام

ابتعد خطوات قلائل ..ورأى عمرو ..جارهم يعينها.. عاد ..ابتسم فى كظم

غيظ لعمرو وقال : لاتتعب نفسك يا عمرو ..سأعينها أنا.. لم يخاطبها حتى

وضع الأكياس على باب البيت وقال : لو كان غيره لقلت يعينك ..أما هذا

فلا ..وانت تعرفين لم ؟

قالت : هو الذى عرض أن يعينى.. دفعها إلى الداخل وقال فى نفاذ صبر :

سلوان ..لا تدعى براءة لا تناسبك ..حسنًا..

ذهب إلى شيخه .. كان يذهب إلى الشيخ ثلاث مرات في الأسبوع ..يراجع

فيها عشر أجزاء من القرآن ..

أخطأ مرتين فقال الشيخ بعد أن أنهى حفظه:

أخطأت في حرف ووقف ..مابك ؟

قال : لم اراجع جيدا ..صحيح ؟

قال الشيخ : لا ..لكن يبدو أن ثمة شئ فعلته ..هز رأسه وقال : نعم ..

ربت الشيخ على كتفه وقال : أنا أراهن عليك دائما ما ابتعدت عن المعصية

..أتقرب منها؟؟

لا ..الموقف مجردا قد أعده معصية ..لكن النية ليست كذلك ..إنني أراه شيئا

عاديا جدا ..

قال الشيخ : إن مثقال الذرة يابراء عند حامل القرآن وطالب العلم كالجبل

..لا تتهاون به أبدا ..ولا تجعل النية الطيبة ميزانا تزن به النص ..إن قلب العالم

ليس كسائر القلوب .. قلبه كفاكهة رطبة طيبة .. الخدش يسئ إليها .. أقل
الخدش يفسدها ..

سكت قليلا ثم قال : افعل إن شاء الله ..

في طريق العودة رأى طفلا صغيرا يبيع مناديل في إشارة المرور .. اشتراها منه
بضعف السعر ونوى نية الصدقة عنه وعن سلوان .. عندها تذكر الحرف الذى
نسيه وهو عند الشيخ .. ابتسم وقال : صدقت يا شيخى .. صدقت ..

بعد صلاة العشاء كان درس الأصول الأسبوعى الذى يداوم عليه .. كان يرى
فى العلم الشرعى بابا ارحب له ولأفكاره بدلا من ان يكون مقيدا بطريقة تفكير
معينة لمشايع معينين .. وكان مشايخه مختلفين .. كل صاحب مدرسة ينتمى

إليها .. كان شيخه عبد الرحمن الذى يدرس عنده الأصول من اصحاب

المدرسة السلفية المستقيمة

تلك التي تعود أصولها لمنتصف البعينيّات .. قابله أنس على باب المسجد قبل الصلاة بقليل .. ابتسم ابتسامة صادقة وهو يقول : زمان عنك يا براء .. أسبوع كامل يارجل ..

هز رأسه في عدم رضا وقال : تلك الدراسة يا أنس .. الأفعى!

قال أنس : يحاصرون الفلوجة الآن .. بدأ الكلاب حصارها اليوم ..

تنهد وقال : الله المستعان ... الله المستعان ..

قبض أنس على يده وقال : أعرف بعض الإخوة يوصلون المساعدات إليها

.. أدخل يده في جيبه وخرج بكل مافيه .. وقال : قبل أن توصل المال انتظرنى

إلى غد .. أعتقد أن الوالد سيرغب بالأمر أيضا ..

قبل انس رأسه : ولا تسأل حتى كيف ؟

قال : لا .. ليس الأمر هكذا .. أنا اسأل .. لكن ليس معك .. أنت وحدك

الذى أثق به دوننا عن كل الدنيا في هذه المور تحديدا .. تطلع إلى الحائط

..صورة الشيخ أحمد ياسين المعلقة امام المسجد .. كان قد استشهد منذ قرابة

الأسبوعين .. رأى أنس مايتطلع إليه فقال : ولا تحسبن ..

أطرق برأسه وقال : لم أحسب ..

كان الدرس في باب القياس .. همهم بكلمات بينه وبين نفسه في منتصف شرح

الشيخ للمتن .. متن الورقات ..

قال الشيخ : الشيخ براء له رأى .. أسمعنا إياه .. ابتسم وقال : لا أدري لم

جاءت الكلمة في ذهني .. أن إبليس هو أول من قاس .. فمن يقيس كإبليس

؟؟

ضحك الشيخ وقال : الحكمة ضالة المؤمن يابني ..

بعد الدرس بقى مع انس في ساحة المسجد .. تمشيا طويلا .. علاقته بأنس

لا تتعدى الستة أشهر .. كان يعرفه من قبل .. زميله في الكلية .. يكبره بعام

دراسي واحد .. لكن علاقتهما توثقت بعد لقائهما في درس الشيخ ..

كان أنس من تلك الأسر الثابته الصابرة ..والده فى سجنه مذ كان فى السنة الأولى من عمره ..صبرت والدته أعواما ..لكنها تزوجت فى النهاية ...فبعض النفوس لا تتحمل الغربة ..يقيم مع عمه الذى رباه وكفله ..وكل ما يريد فى الدنيا هو أجر شقيقه المبتلى .. لم يرزق عمه بأولاد ..لكن أنس كان له الولد الصالح ..ولزوجته أيضا..

اختار مستقبلا "مشرفا " كما يقول الشيخ "عمر عبد الرحمن " عن أصحاب هذا الطريق .. كما اختاره والده من قبل ..وعمه ..ووالده الشهيد الذى دفن فى رمال "الحربي " من قبل..

لطالما علق أنس : يظنون انى أصبحت هكذا لن عائلتى هكذا ..لا والله.. تلك بركة لا يعرفها غلا من سار على الدرب ..والدرب شاق ..وطويل ..وممتع أيضا..

فى منتصف مشيهما قال انس : عثرت لك على محاضرة رaaaaaaaaاألقت فى باكستان منذ سنين .."الثبات " ..لأبى البراء المصرى ..عصام الشرقاوى..

أُتعرّفه؟ ابتسم وقال : رأيته من قبل يا أنس ؟

قال : لا.. لا أحتاج لأن أراه شكلا وقد رأيته موضوعا .. مع أنى اعتقد أن بعض كتبه قد أسئ تفسيرها .. بعض مصطلحاته واختياراته .. أعلم أنه رجل عظيم .. عظيم كما السماء ..

قال براء : أعلم أنك تكتم السر .. ولا تفضحك جوارحك .. ذاك عمى ..

تطلع إليه انس وقال : عمك ؟؟ بالله ؟

نعم .. ابن عم والدى .. وابن خالة امى أيضا .. رحمه الله رحمة واسعة ..

سأله أنس : أتذكره ؟

هز رأسه وقال : لا .. لا أذكره .. لم أره أبدا .. لا من قريب ولا من بعيد .. لقد

خرج بعد الجامعة مباشرة .. لا لا .. بعدها بعامين بالضبط .. قضى عام منهما

فى المعتقل .. كانت التنظيمات الجهادية تفور فورانا حينها ..

قال أنس : ولم ترق له حينها ؟

هز رأسه وقال : لا .. أبدا لم ترق له ..

كان يريد جهادا حقيقيا .. لادماء تشتبه على صاحبها وتحاجه أمام الله
.. وكانت الحرب الأفغانية في سنواتها الأخيرة .. استقر هناك .. في باكستان على
الحدود .. أكمل دراسته الشرعية هناك أيضا .. ولم يعد غلى كابول إلا بعد
الحرب الأخيرة .. وهناك قتل ..

قال أنس : كل الدنيا تعرف هذا .. ما الذى لا أعرفه ؟ أتزوج ؟

ابتسم وقال : لا .. لا اعتقد انه تزوج .. وإن كان .. ثم صمت ..

قال أنس : قلها يارجل .. مثله لا يتعلق بالدنيا إلا بجبل امرأة .. نظر إليه طويلا

وقال : اتظن هذا ؟

جلس انس على كرسى يجاور شجرة في ذلك الشارع شبه المظلم وقال : اسمع

النظرية الظلامية المتعلقة بهذا الأمر :

ابتسم براء وهو يجلس إلى جواره : أسمعنى يامولانا .. يبدو أن الأصول تلاعبت

بعقلك ..

قطب انس حاجبيه وقال: لالا .. تلك نظرية قديمة .. النظرية تقول أنه مامن

رجل يبيع الدنيا إلا وله فيها امرأة .. ولولا هذه المرأة لما كان باعها ..

هز براء رأسه : كيف ؟

من يبيع الدنيا يحتاج إلى أن يملكها .. يكون له تعلق بها .. وهذا التعلق هو

الذى يجعل التخلي عنها ..

قال : نعم .. وبما ان الله سبحانه وتعالى رغب المؤمنين بالحوار العين .. وكانت

النساء هن ما حبب إلى رسول الله منها .. كن فى الغالب هن تعلق اهل

الشهادة بالدنيا ..

من يذوق حب الرب تبارك وتعالى ويعرف لذة ان تترك الدنيا لجله لا بد ان

يكون ذاق لذة حب وتعلق أبسط ..

عينة بيع كما يقال .. أولئك أصحاب النفوس العلية ..

ضحك براء عاليا : والله لا يخرج هذا الحديث إلا من جعبة عاشق ..

قال انس : لامرأة تستحق .. تستحق ان تكون مقصدي من الدنيا .. وتعلقى
بها ..

تطلع إليه براء : وكيف تعرف انها تستحق ؟

قال انس : السحر من سود العيون لقيته .. يوم نظرت في عينها عرفت اننى

وصلت .. حيث المرفأ والساحل والسكن والأنس

وعرفت أنها طاهرة كماء المزن .. نقية .. وتستحق ..

روت عيناه وشفته كل ما يقال : عن آمنة .. من كتب ان يلتقيها فى وادى

النطرون ..

فى زيارة ابيها .. لا تظهر منها إلا عينين .. كل إيمان وصدق الدنيا فيهما

.. لكنه يعرفها مذ كانت فى التاسعة .. كانت صغيرة .. وكان صغيرا .. كبرت

وكبر ..

لكن القلوب لها لقاء لا يعترف بالسنوات .. تأتي هي ووالدتها لزيارة والدها
.. وتلوذ به هو .. به وحده .. إذا ضايقها أحد الحرس أو الزوار .. كانت عينيها
على طهرهما كالنور يجتذب الفراش .. ولها هيئة حسن لا يخفيها حجاب ..
كانت تكتفى بأن تقول : أنس .. انظر إلى هذا .. ليحد النظر إلى من ضايقها
أو يخرسه بكلمة واحدة أو كلمتين لاتزيد ..
كان الحب بينهما لا يعرف لفظ شفتين .. لكنه يعرف حديث ارواح .. ولقد
كفاهما ..

كان عهدا غير مكتوب .. لكنه عهد المؤمنين ..

قال براء معلقا : انا أرى انه مامن امرأة تستحق .. أقصد في نظري انا!

رد أنس : والله ليدل كبريائك هذا ذلة تمنى عندها لو لم تخلق من قبل ..

ربت براء على خده وقال : سنرى .. يا "عهد المؤمنين"

مر الأسبوع سريعا .. على غير العادة .. يوم الخميس كان للتو قد عاد من درس

الفقهاء بعد المغرب ..

قالت سلوان عندما راته : عدت اخيرا من جلسة العلم..

رد بغيظ : ألن تعودى إلى منزلك ؟ ألم تشتاقك الإسكندرية ؟ الا تشتاقين إلى

ابيك وأمك وإخوتك..

قالت : كنت سأغادر .. لكن .. منذ دقائق هاتف العم مهدى خالى .. سيأتى

إلى مصر غدا .. وسيأتى والدى للقاءه .. وابتسمت ابتسامة المنتصر..

قال : مهدى .. الكلب الإيراني ..

قالت : من قال هذا ؟؟ الرجل صاحب ايدولوجية وينفذها .. أيجعله هذا كلبا

فى نظرك ؟

قال : يجعله كلبا خيائته لوحدة بلاده .. أن يرضى ان يكون يدا للإيرانيين فيها

.. ولا فارق عندى عن الامريكان .. اعوذ بالله كأنه المتصرف الأوحد لإيران فى

بلاده..

قالت : لاتنس أنه يرتبط برباط العقيدة ..ثم تعال هنا ..انت تناقش كون
الرجل يأتي منفذا لمشروع غيرانى هو فى النهاية إسلامى ..بينما أنت تكرس
العلمانية بتصرفاتك ؟

وضع كوب الماء الذى يشربه من يده وقال : نعمممممم؟

قالت : شيخك هذا الذى كنت عنده ..كم مرة أغلق له المسجد من امن
الدولة ؟ كم مرة قبض على طلابه ولم يفتح فما؟

ثم يأتى فى النهاية ليقول المعاملات الإسلامية والدولة الإسلامية ..أليست هذه
عين العلمنة ..الدين فى المسجد ولا شأن لنا بما يدور خارجه..

قال : إن دل هذا على شئ فإنه يدل على أن دماغك مازالت تحمل النسخة

غير المحدثة من "ويندوز إخوان " ..أتريدى للشيخ الذى جاوز السبعين أن
يخرج أمام المسجد ليجعجع بشعارات لا طائل منها ولا فائدة ..سوى أنه ينفى

عن نفسه حصر الدين فى المسجد،ثم هناك شئ آخر ..الدولة الإسلامية التى

تتحدثين عنها ..عندما تقوم ..إن قامت على أيدى اقرانك من أصحاب

القرص الصلب ذى النسخة غير المحدثة .. من ستجد لينظم لها تلك الشرائع
سوى ذلك الشيخ السبعيني.. الدرس الذى يحارب وترينه تكريسا للعلمانية هو
حلم نصنعه فى أذهاننا .. حلم نتخيل به الدنيا كيف تكون..

قالت : ربما تصدق فى قضية الحلم هذه..

قال : بل أنا صادق فيها .. ثم عامة .. أنت آخر من يتحدث عن العلمانية
.. وتعرفين لماذا ؟

قالت : "واما بنعمة ربك فحدث"

قال : أوف .. ذاك إبليس ترك لك التصرف فى نظرياته ومنحك حقوق التنقيح
والزيادة..

كانت تجاوز الثانية عشر فى ذلك المنزل فى المنطقة الأهدأ من بيروت .. كانت
غادة فى المطبخ تعد قدحا من القهوة .. تركت كتابها الذى تقرأ فيه على الطاولة

..

أحست بحركة خفيفة جدا .. خفيفة لا تلاحظ .. لكنها أحست بها .. خرجت

من المطبخ لتجد جواد أمامها .. فزعت للحظة ثم قالت : سأمحك الله متى

عدت ؟

قال وهو يضمها إليه : الآن ..

جلس على الأريكة وهو يقول : لم تسألني كالمعتاد أين كنت ؟

قالت : تعبت يا جواد .. تعبت من القلق عليك .. بت اسلى نفسى الآن أنك

ربما فى المسجد وستعود .. ذهبت لتصلنى وستعود ..

تنهد وقال : لاعليك .. هل هم نائمين ؟

تطلعت إلى حجرة كوثر وسمية .. ومحسن وهادى .. ثم قالت : نعم ناموا .. هل

احضر لك قهوة ؟؟

قال : بالله عليك .. وزيدى سكرها لو شئت ..

قام إلى حجرة البنات .. قبل وجنتى كل واحدة .. وغطاهما جيدا ..

جلس أمام فراش محسن .. لقد أتم الرابعة عشر منذ ايام فحسب .. ولم يكن

حاضرا كالمعتاد .. قبل رأسه .. وكذا فعل مع هادى .. لقد كبر هادى .. لقد

خط شاربه .. لم ير عائلته منذ شهرين وأكثر .. تطلع إلى جدران الغرفة

.. كانت صورة جديدة لقادة المقاومة في لبنان تحتلها ..

اما سرير هادى فقد علته لوحة سوداء كتب عليها .. لبيك يا حسين .. ابتسم

ابتسامة صادقة .. وأغلق باب الحجرة .. قالت عادة وهي تضع القهوة : لم تقل

أنك ستأتى عندما هاتفتنى فى تلك المرة اليتيمة منذ شهر ..

وضع قده القهوة فى مكانه ولم يمسه .. قام وقبل رأسها .. ويديها .. ثم قال :

آسف .. عادة .. تعرفين متاعب الطريق جيدا .. ارتجفت يديها وهي تمسح

جبينه وتقول : أعرف يا جواد .. أعرف ..

جلست إليه تحكى كل ما حدث .. عن كوثر ابنة العاشرة التي قررت أن ترتدى

العباءة الزينية .. وسمية وتعلقها بالمدرسة الجديدة ..

عن محسن وتدريباته العسكرية ..وعن هادى وميوله الشرعية ..عن الجمعية
الخيرية التي تترأسها ..أسندت رأسها إلى كتفه وقالت : لكن عينيك بهما شيء
يا جواد .. كأنه حزن فوق حزنها..

تنهد وقال : أنا الذى جلبته لنفسى ..لقد ذهبت لزيارة قبر عصام ..عصام
الشرقاوى..

قالت : عصام ؟ ..نعم عرفته..

:على الرغم من ان علاقتى بمن هو فى مكانه الآن ليست على مايرام إلا أننى
طلبت منه ان اذهب لقرأ له الفاتحة ..اه ياغادة ..آه..وأنا على قبره بكيت
..لم ابك لاستشهاد أخى ..وبكيت لأجله..

عرفت اننى أقف على نهاية حياتى ..شاهد قبر ..الله أعلم أين سيكون ..ربما
فى بيروت او كابل ..أو تل أبيب حتى ..شاهد قبر يقول ذاك مستقر فلان
..تعرفين ..مرة اردنا أخذ وقت مستقطع ..مع أننا كنا نشرى الوقت شراء

..دعاني إلى مطعم باكستاني في بيشاور .. هو أصلا عصام يحب باكستان

بطريقة مختلفة .. ليست هذه النقطة ..

يومها وفجأة .. تطلع إلى الشارع المزدهم .. والأضواء الكثيرة .. والمارة في كل

مكان ..

ثم تطلع إلى وقال : يا ذاهبون إلى الشهادة لاوداع .. وقبض على يدي وقال

: جواد .. كيف تراني ؟ أتراني من الذاهبين إليها ؟

أتراني أنا لها ؟ وبكى .. سألته مابك ؟ قال أخشى ان أسير كل هذه المسافة ولا

أصل ..

وأنا على قبره عرفت أنه وصل .. دعك من كل هذه الجمعية الإعلامية .. بما

فيها إعلامنا عن الإرهابي أبو البراء .. ما كان عصام هكذا أبدا .. تعرفين

.. كان يشيح برأسه إذا رأى غنما تذبح .. تخيلي ..

ولا اعتقد أنه ضحى اضحية في حياته بنفسه.. ومع هذا فقد قاتل.. وجرح
..وبذل دمه في سبيل العقيدة.. ربما هو متشدد.. نعم.. لكنه امام المصلحة
لايتردد.. ومامنعه ابدا ختلاف الفكر أن يجب من يختلف معه..
تعرفين جعفر.. مرافقى الذى استشهد بدلا منى في إسلام اباد في ذلك التفجير
..

كان جعفر يعشق عصام.. اصطحبته معى مرتين فحسب.. فى المرة الأولى
خرج وهو يهز رأسه فى تعجب ويقول : سيد جواد.. أهذا أبو البراء الذى
يجلده الإعلام جلدا؟ مع ان جعفر لا يفصح ابدا عن مشاعره..
ونحن نغادر فى المرة الثانية.. ضمه عصام إليه على غير عادة.. ضمه طوييييلا
..وقال : لو كان لى ابن لكان فى مثل عمرك الان.. أو اصغر قليلا.. تعرفين
...الرجال الذين يعيشون على حافة الحياة.. خاصة الإسلاميين.. دعك من
المذاهب ولو أنها مهمة.. إلا ان ثمة رابط يربطهم جميعا.. ثمة بريق فى العينين
..واحد..

ربتت على يديه وقالت : رحمه الله .. عندها بكى!

في الصباح كان يجلس مع أولاده على الإفطار .. قال هادى : أبى .. ألن تأتي

معى محاضرة السيد مهدي الموسوي .. هي محاضرة واحدة سيلقيها في التاسعة

ثم سيذهب إلى القاهرة مباشرة ..

قال محسن : سيغادر؟

قال هادى: أنسيت أنني كنت له لصيقا طيلة هذا الأسبوع؟ تخيل أنه أخبرني

أنه تخرج من كلية الهندسة في القاهرة قبل أن يعود غلى الدراسة الحوزوية في

كربلاء ثم قم .. شخص رالالالالاع ..

ابتسم والده وقال : طالما اعجبك يا هادى سأتى معك المحاضرة .. لا يعجبك

احد كل يوم ..

عندها اندفعت إلى ذهنه فكرة مفاجئة وسأل هادى : كم عمر السيد ؟

السيد مهدي ؟

قال هادى: فى منتصف الأربعينيات ..يزيد سنة او ينقص عن الخامسة

والأربعين..

أدركت عادة ما يفكر به فقالت : أرأيت أقدار الله..

"على مر التاريخ أثبت الإمام الحسين عليه السلام أن ثورته التى زرعها فى تربة

الإسلام أنبتت أشجارا خصبة ..أنتم أيها المقاومون ثمرتها

أنتم ثمرة "هيهات منا الذلة"

وثمره "فيا سيوف خذينى"

عندما أتطلع إليكم أعرف أن قائلها صدق "كذب الموت فالحسين مخلد

..كلما أخلق الزمان تجدد"

بهذه الكلمات أنهى مهدي محاضرتة فى شباب المقاومة ..تطلع إلى ابتسامة

"هادى " وهو يقول : جزاكم الله خيرا يا سيدى

ربت على كتفه وقال : يوما ما ..ستكون انت مكاني يا هادى ..أليس كذلك

؟

هو يعرف تلك الابتسامة المنبهرة جيدا .. ولذلك قال لهادى هذا .. يود لو رأى

جيلا يعرف مايريد ويسعى لأجله .. هدفه بين عينيه لا يقبل أن يضيع ..

اطرق هادى برأسه فى خجل وقال : أبى هنا يا سيدى .. لقد أتى من سفره

.. والتفت ليرى والده خلفه مباشرة .. سلم جواد على مهدى وقبل رأسه ..

تطلع مهدى لثوان إلى وجه جواد:

ذلك الوجه الذى يقول : يادنيا غرى غبرى .. لقد عرفتك حتى مللتك .. وجهه

وجه رجل رأى الدنيا بكل حالاتها .. سافرة ومتسترة .. ضاحكة وباكية .. ورآها

وهى على الحافة .. رأى من يبيعها ..

فقبض على يد جواد وقال : بارك الله لك فى هادى .. أهو وحيدك ؟

قال : الحمد لله .. يكبره محسن وتصغره كوثر وسمية ..

فتش مهدى فى جيبه كالمعتاد قبل ان يغادر هادى ووالده .. وجد تربة من

كربلاء .. وضعتها ابنته زينب فى جيبه قبل ان يغادر .. هى تقارب هادى فى

العمر وضعها فى يد هادى وقال : تربة من عند الإمام .. لا تصلى إلا عليها ..

ابتسم هادى وقال : سأفعل يا سيدى..

تطلع مرة أخرى إلى عيني جواد وقال : بارك الله لك في أهلك واولادك يا أبا

محسن..

قال جواد : ولكم ياسيدى..

في طريق العودة قال هادى : ألا ترى كم هو رائع .. ربت والده على كتفه وقال

: لأجل التربة أيها الانتهازي .. لو قلت لى لأحضرت لك

قال هادى : لالا .. هذه من كربلاء .. من عند الأئمة..

عندها سكت جواد.. لقد كان في كربلاء منذ يومين فحسب .. مر بها في

طريق العودة .. تعمد زيارتها على الرغم من خطورة وضعه الأمني في خارج لبنان

والأوامر المباشرة له بأن حياته هي مهمته الولى

كان يحتاج لأن يجدد حزنه على الحسين مثلما تجدد عند قبر عصام .. كان

حزنه الحسيني إن صحت النسبة هو وقوده الذى يحيا به .. كلما ثقل عليه

الحمل تذكر قمرا هاشميا يفنيه السيف هو وسبعين من أهله .. فيثبت .. ويصبر

..

.. كان براء عندها يرتدى ثيابه ليغادر .. تطلع إليه والده وقال : مصر أن لا

تأتي معنا إلى المطار ..

قال وهو يغلق ازرار كميته : ماشاء الله .. من العراق إلى لبنان ثم مصر .. ما

أبعد صاحبك العراقي عن أمته .. وشدد على لفظ العراقي ..

قال والده : كل بھمه يا براء ..

حرك يديه في ضيق وذهب إلى امه : امي .. أغلقى لي زرار الكم هذا ..

ابتسمت امه وقالت : تعال

قالت سلوان : اما انا فمتحمسة تماما .. السيد مهدي له رؤية رائعة ..

التفت إليها وقال : سيدك أنت .. أما أنا فلا ..

قالت امه : لا تجعل الأمر كله سواء .. تقبل الرجل على ما هو عليه ..

أشاح بوجهه إلى النافذة وقال : الحمد لله ..متى أنال شهادة اعتمادى كجبهة

المعارضة المتعفنة الوحيدة فى هذا المنزل ؟

قال والده : يعنى ..فى الأيام القليلة القادمة..

رد والده جعله يتسم رغما عنه فقال : فى الأساس أنا كنت ربما آتى ..لكن

عندى موعد الان مع د.سيرين..

وربما اصلى الجمعة بجوار بيتها ..لهذا لن آتى ..

قفزت سلوان من مكانها وقالت : خالى ..أسيذهب إليها وحده ..بيدوا الأمر

سخيفا وبلا معنى ..أريد أن اذهب إليها..

قال براء فى نصف ابتسامة : سأتى إليك بكل حلوى الدنيا ولا تأتى ..

ابتسم والده وقال : لا تزعجى المرأة..

قالت : لا..ربما منزلها فارغ الان ..ربما ذهبت خادمتها لزيارة أهلها فى إحدى

قرى الجيزة ..وستتخرج بالطبع من استقبال براء لوحده ..أرأيت يا خالى

..مهمة إنسانية..

وضع خالها قدح الشاي على المنضدة أمامه : ارتدى ملابسك .. براء سينتظرك

..

قال براء : من براء؟؟ ابن جيراننا في الأعلى .. لا يتعدى العاشرة المسكين

.. كيف ينتظرها ؟

قالت أمه : لا..الوالد يعنى براء محمود ..أنت.. حوقل واستغفر وجلس..

بعدها بخمس دقائق كانت سلوان تقف امامهم..

تطلع إليها براء في دهشة وقال : منذ متى ترتدين خمارا هكذا ؟ هل انتصر

عمى في معركة الخمار أخيرا ؟

قالت في غيظ : ربما "الويندوز" خاصتك هو الذى يحتاج إلى تحديث ..أنا

ارتدى هذا الخمار منذ عامين..

هز برأسه في دهشة وقال : لم الاحظ..

وصل إلى بيت سيرين في تمام العاشرة ..فتحت هى الباب ..قال : معذرة يا

دكتورة ..لقد أبت ابنة عمتى إلا ان تأتى..

تطلعت في ود إلى سلوان وقالت : ابنة عبد المنعم ..تفضلى ..

قالت وهى تجلسهما : لكنك لا تشبهين والدك كثيرا يا سلوان ..هذه العينين

لا تشبه إلا عائلة والدتك ..

ابتسمت سلوان فى خجل أدهش براء : شكرا ..

استأذنتهما لدقائق ..التفتت سلوان حينها إلى براء وهمست وهى تشير بيدها :

غير محجبة؟؟

أوما براء أن نعم ..

همست : لكن خالى عصام كان صاحب ذوق للغاية ..يجب أن اعترف

تنهد : لاحول ولا قوة إلا بالله ..

جاءت عندها سيرين بثلاثة اكواب عصير وعلبة خشبية تشبه التى تحفظ بها

المجوهرات ..

وجلست: أعادت شيئاً من الحكاية لسيرين ثم قالت: بعد هذا اليوم لم نعد
كالسابق ..عرفت انه نال لوما من كل قيادات الجماعة الإسلامية في الجامعة
وخارجها ..وما كان عصام بمن يهتم للوم أو غيره..
لكنه كان وجه الجماعة في الجامعة كلها ..وجه دعوتها ..وانا كنت وجه تيار
الانفتاح والبعث عن الرجعية كما كان يقال حينها.. ولذلك لم يكن لنا أن
نجتمع ..حينها على الأقل.. ولم يستمر الحال طويلا .. لم نستطع أن نستمر
..فاجأني هو ذات صباح بأنه اتى وجلس بجوارى ولم ينطق بكلمة غير السلام
عليكم.. بعد انتهاء المحاضرة التفت إلى ..نظر إلى بسرعة ثم أخفض رأسه

كالمعتاد وقال :ثم ماذا ؟

قلت :لأأدرى..

قال : رغم انه ليس مبدأى في الحياة إلا أنني أعتمده هذه المرة :مامضى فات
والمؤمل غيب ..ولك الساعة التي أنت فيها..

عرفت أنه استأذن الجماعة فى ..أنه قال..وصمتت قليلا

قالت سلوان : ماذا قال ؟

قالت : كانت كلمة الحب الوحيدة التي سمعتها طيلة دراستنا في الجامعة .. قال

:قلت لهم أنك لي كنفسى .. أيعيش امرؤ بلا نفس! اقتصرنا بعدها على

صبيحة السبت .. ولم نعد نلتقى إلا في صبيحة السبت .. في السابعة صباحا

تماما كان يأتي إلى المدرج الذي في الطابق الثاني على اليسار .. تعرفه يا براء ..

أوما براء بنعم .. كان يأتي ويستمع إلى فحسب .. أبدا لم يكن يتكلم كثيرا

معي ... ولما أحس أنني لأحب التحدث كثيرا .. معذرة وأشاحت بوجهها قليلا

..

أهداني مصحفه .. مصحفه الذي لا يقرأ إلا به .. وعند سورة النور وجدت

وريقة صغيرة كتبها

اعذريني .. فبقلبي حديث يناقض الآيات

ولان أصمت أبد الدهر خير لي من أن تجمعني بك معصية ..

بك أنت دون الناس.. في اليوم التالي ذهبت إليه ..وماكان هذا عهدنا

..أعطيته ذات الوريقة وبظهرها

ولك عهد أهل النور ان لا أنتظر منك حديثا أبدا ..عهد المؤمنين..

عندها ابتسم براء وتذكر كلمة أنس منذ أيام "عهد المؤمنين " ..تنبه للمرة

الأولى أن أهل الالتزام لهم سمت عام في هذه القضية تحديدا.. سمت المؤمنين..

أكملت سيرين حديثها .. كان رحمه الله عفيفا تقيا .. كنت أشعر أنه ينازع

نفسه أن لا ينظر إلى .. وكان يرفض التصوير تماما .. تعرف تلك الصورة التي

أريتك إياها يابراء .. الصورة الوحيدة التي ظفرت بها من عصام .. كنا على

وشك التخرج .. وكنت أعلم أنه لن يبقى في مصر .. لم يقل هذا أبدا .. لكن

اهتماماته كانت تشي بأنه لن يبقى

وفعل مهدي بي معروفا لا انساه له .. أتاني في الصباح وقال : تريدن صورة لك

مع عصام ؟ .. في الأصل علاقتي بمهدي كانت طيبة .. طيبة جدا .. وكان

عصام لا يعاتبني عليه إن حدثته أو طلبت منه شيئا ..

أعود للصورة .. قال لى : أشغليه قليلا ومعك لن يلتفت إلى شىء ..

وفى اليوم التالى اعطانى الصورة وشىء آخر .. شريطا مرثيا ..

وقفت سلوان وقالت : لخالى عصام .. قالت سيرين : نعم ..

قال براء : تأذنين أن نراه ياسيدتى .. قالت : بالطبع .. أخرجت الشريط من

علبته ووضعتة فى جهاز الفيديو .. أغمض براء عينيه لوهلة : أسيراه حقا؟؟ حيا

متحركا ..

كان ذات الشريط عند مهدى لعصام ورفاقه وهو ينشد أحنى أنت حر وراء

السدود .. كان الضغط شديدا على براء .. شديدا بشكل لا يتحمله .. أن تقرأ

طيلة حياتك عن شخص ما ولشخص ما .. أن ترى صورته .. وأشياؤه ..

لا يشبه أبدا أن ترى روحه الحية أمامك .. عندها أدرك براء كم يشبه عمه

.. وذاك الإدراك زاد الضغط عليه كثيرا ..

هذا .. الذى كان صديقا لأحد .. وحبيبا لأحد .. وابنا لأحد .. وقريبا لأحد ..

هذا الذى كان ملئ السمع والبصر.. هذا الرجل أورثه عينيه ..وصوته ..بل
واستشهاداته الشعرية حتى ! بدون أن يراه ..هذا الرجل باع الدنيا وطلقها من
سين ..وظل فى عدة طلاقها حتى أشهر قليلة ..هذا الرجل شهيد..
تحامل على نفسه واعتذر بالصلاة وأنه سيتأخر عليها ..قالت سلوان :وانا ؟
قال :وأنت ؟؟ تعالى صلى الجمعة لأن اليوم امامنا طويل..
قالت سلوان : تعرفين ياخالة ..تاذنين أن أناديك خالة ؟
أومأت سيرين : بالطبع ..قالت سلوان :عمى مهدى سيأتى عند خالى اليوم
..وفى اهتمام حقيقى قالت :حقا ..براء ..أتخبر والدك اننى ربما آتى فى المساء
..هز براء رأسه وقال :إن شاء الله.. وتحامل على نفسه لينزل صامتا بلا كلمة

واحدة

وكذا صلى الجمعة بلا كلمة واحدة ..خرج من المسجد وهو لايتذكر أن سلوان
معه ..وفى السيارة التى اوقفها فى شارع جانبي أغلق على نفسه الباب ..وبكى
..كالمعتاد بل ربما أكثر.. بكى لانه يشعر أن الدنيا تلهيه ..وتجذبه ..وتنازعه..

وأنه لايشعر بأن إقبال الدنيا عليه سئ.. بكى لأنه شعر بالراحة فى حياة
لأراحة فيها .. هو لايتخيل أن يتعلق قلبه بامرأة ولاينظر إليها .. ولايحادثها
.. ويجتنب كل طريق للقيهاها .. لايتخيل أن باستطاعته أن يفعل هذا..
أدرك أن هذا يحتاج إلى أنس بالله لا يشبه ما هو عليه .. هو يصلى من الليل
.. كثير الصيام .. كثير الذكر .. لكنه يشعر ان كل هذا لن يكفيه ليمتنع إن أراد
.. وبكى أكثر عند هذه النقطة .. أحس أن الله عزوجل لم يتليه بمثل أمر عمه
لأنه لن يصبر .. وشعر أن به هوانا لأنه لا يصبر على هكذا ابتلاء..
خرجت سلوان حينها من المسجد .. تكتم ما بها حتى تصل إلى السيارة .. تعزى
نفسها أنها ستصل قبل براء الذى بالتاكيد سيجد أحدا يعرفه هنا.. حديث
سيرين عن سورة النور .. "بقلبي حديث يناقض الآيات"
حرك فى نفسها شجن الغربة .. الغربة عن الآيات .. يكثر براء من تذكيرها
بالتقوى وهى لا تهتم .. لاتفكر أصلا..

رأت عصام رجلا يقول " معاذ الله " ومعاذ الله هنا ليست معاذ الله عن

"الكبرى " .. لا .. بل عن كل صغيرة تنافى أهل النور

وصلت إلى السيارة .. كان براء نسي بابها هي مفتوحا فدخلت .. دقيقة واحدة

وخرجت .. تركته يبكي .. بعد قرابة الثلث ساعة انتبه إلى دقتها على النافذة

.. دخلت ووضع بينهما " حلوى البرتقال " التي كانت عشقا لهما .. وزجاجتي

ماء .. ولم تتكلم معه إطلاقا .. قبيل البيت بدقائق قليلة قال : سلوان .. وسكت

قالت : لم أسألك .. وأمام المنزل وجدت سيارة والدها وسيارة خالها فقالت

: أستصعد الآن .. وأشارت إلى عينيه التي يفضحها البكاء .. أشار بكفيه خاليتي

الوفاض وقال : ماذا أفعل ؟

للحظة أدهشتها سكينته .. لم تره هكذا أبدا .. هادئا .. كبحر مرت عليه

العاصفة وتركته .. كأنه لم يعرف موجا قط ..

أشارت بكيس الحلوى وقالت :كلها معى قبل أن نصعد ..بالتأكيد ابى أحضر
معه بثينة وأبناؤها ..أبناؤها تعرفهم طبعاً ..ها أبناؤها.. قال :لا ..جلس إلى
جوارالسيارة ليأكلها..

وللحظة أخرى لم تشأ سلوان أن تعود إلى مقعدها ..ذاك هدوء يهددها هى
..أن تراه طيلة الوقت متكدرا مغيظا غير راض ..أو ناقد متكبر ..لا يشبه أبدا
أن تراه هكذا ..كملاك هادئ.. هو فى تكدره قريب ..لكنه كقرب أشجار لا
تشبه أصولها ..ثمّة مسافة فاصلة ..صغرت أو كبرت .. لكنه هكذا ..فى تلك
الحالة ..قلب ضعيف ..مهتز غير ثابت ..قريب كقرب الشغاف من القلب
..هزت رأسها فى صلابة وقالت فى نفسها : لا ..ليس هو..

قال فى هدوء :مابك ؟

قالت :لاشئ ..تكدرت قليلا من ذكرياتهم..

قال : لا أدري ..تعرفين ..منذ أيام قليلة جدا سمعت نفس الكلمة التي قالتها

د.سيرين ..عهد المؤمنين ..وتقريبا عن نفس الموقف

تطلعت إليه في دهشة : أنت ؟

قال في ود لم تره عليه أبدا : لا..لست أنا ..صديق لى اسمه أنس ..كان

يحدثني عن المؤمنة التي عاهدته في وادى النظرون تعرفين أولئك البشر المتناغمين

مع كل شئ ..هكذا أنس..

الحب بالنسبة له جزء من دورة الحياة ..شئ كالنفس ..قال الكلمة بلا قصد

وبلا موعد ..فأدار رأسه ليرجع تلك الدمعة إلى مكانها في قلبه ولا تخرج من

عينيه..

قالت سلوان : واسمها آمنة ؟

التفت في دهشة وقال : نعم ..كيف ؟؟

قالت : كيف أعرفها ..نعم .. لم يقل لك صديقك لماذا لا يلتقيها إلا في وادى

النظرون ؟

تلك رفيقة دربي منذ خمسة أعوام تقريبا ..من المدرسة الثانوية..

قال : لكن بوصف أنس لا تشبهك إطلاقا..

قالت :وما أدراك ..ربما نحن وجهان لنفس العملة..

قال : ربما..

قالت : لم تقل لي رأيك بالقصة ..عن لقاء الغرباء..

قال : ربما لن تسمعي منى هذا الكلام إطلاقا بعد اليوم ..لكنه عقيدتي في

الأمر.. ثمّة أرواح تعرف قرينها إذا رأته ..في الغالب تكون تجربة أولى غير

مشوشة بأى مشاعر عابرة أو سابقة ..ربما التقت في عالم الذر من قبل ..ربما

تتشابه تلك الأرواح .. لم تدرسك سيرين من قبل ..لهذا لم ترينها جيدا

..سيرين تحمل روح مجاهد ..امتزاج الدم بالعطر ..قسوة الدماء ورقة العطر

..وللإثنين هالة أثيرية من الضوء والرائحة ..ألم تسألي نفسك ونحن معها :لماذا

بقيت هكذا ..لماذا لم تتزوج ..لماذا مازال للذكرى كل هذا الشجن ؟قرار أن

تحب شخصا مختلفا ..أن تقاتل من أجل هذا الحب قرار جهاد ..شئت أم

أبيت .. والفارق بينه وبين الهوى أن هذا الحب على غير هوى .. ما الهوى
لامرأة تؤمن بالحرية المطلقة نوعا ما .. وبالتعددية المطلقة أيضا أن تحب .. رجلا
يقيدها .. لاحظي أنها قالت عن مهدي أن عمي عصام لم يكن يجادلها عليه
كثيرا .. رجلا يختلف عن كل الأطروحات التي عرفتتها في حياتها ..

قالت : ثمة عوج في منطقتك .. لكنه سليم في النهاية ..

قال : وما هو ؟

قالت : أنت تطبق المنطق على الحب وهو خارج القوانين ..

أدهشها عندما قال : وهذا تفكير أعوج .. من قال أن المنطق والقوانين تنطبق

على العقل فحسب ؟ أو تخرج من العقل فحسب ؟ للقلوب يا فاضلة دستور

غير مكتوب .. ومنطق لا يدرس .. والعقل خاضع لهما !

بدليل : أنت مثلا .. لا ليس أنت .. فلك قانون مختلف .. أنس وآمنة ..

المنطق القلبي يقول إذا وضعت أنس أمام منة سيبقى لديك شيء واحد ناقص

لأجل هذه العلاقة .. شغف .. أما وقد وجد الشغف فالمر منطقي جدا عقليا

وقلياً.. فالقانون القلبي يقول بعدم الحب في حالة التناقض.. وافهمي معنى التناقض.. فاختلف الخلق أو التفكير مثلا ليس تناقضا عند قانون القلب.. إنما ثمة ثوابت قلبية تنمو لدى المرء طيلة حياته.. عندما يشهد نفس الثوابت لدى قلب آخر يعرفه.. ينتهي الأمر

قالت :والشغف ..على رأيك يامولانا؟؟ ماتفسيره

ابتسم وقال : ذاك كالتفكير اللا واعي لدى القلب .. لا قانون يحكمه.. لكن تذكرى المعادلة .. ثوابت قلب وتشابه روح وشغف .. أنس وآمنة.. عندما دق جرس الباب فتح خالد ..زوج أخته بثينة ..احتضنه خالد طويلا وقال : كل هذه صلاة جمعة... يارجل! سلم عليه وعلى سلوان..

تفاض عصام ولىلى أبناء بثينة أمامه :خالى أين الحلوى ..أخرجت سلوان من حقيبتها كيس حلوى وقالت : هاهى..

قال براء :خالد أين ابى؟؟

لم يأت بعد هو وعمى عبد المنعم ..الوالدة بالداخل هى وبثينة..

سلم على شقيقتة التي قالت : شهر كامل ولاأراك!

قال : ولم اراك انت ايضا ..ترك سلوان مع والدته وشقيقتة ثم عاد لخالد : ما

رأيك ؟ رأبي بماذا ؟

أتقول لى ياخالد أنك لم تسأل مشايخك هناك عن حكم السلام على

ال.....أستغفر الله

قال خالد: بصراحة سألت .. كان فى قلبى شئ ..ومازال ..رغم أنى أحمل

فتوى بالجواز ..المشكلة عندى ليست فى تشيع الرجل كأصل ..المشكلة عندى

فى هذه المدينة المذبوحة هناك فى بلاده التى يمثلها وفى برلمانها ..برلمان !! دنيا

..

عمك عبد المنعم وتعرف تساهل الإخوان فى الأمر وغسلنا يدنا منهم

..وضحك..لكن والدك ! الله أكبر..

قال براء : نحن نراه مأجورا ..والوالد لا يراه إلا صديقه القديم ..والود القديم

..لا ولو تعرف الكارثة..

أوما خالد :أسمعني أسمعني.. كانت له علاقة قريييييييبية وعجيبية بأبو البراء..

أوف ..أوف ..أوف ..لا..تنهد براء :أقسم بالله ..تتخيل..

قال خالد : لحظة لحظة ..السنين تغير ..اليس كذلك ..ربما كان مختلفا حينها

..

قاطعهم جرس الباب فقام براء ليفتح: كان والده وعمه وأخيرا مهدي..

في طول والده تقريبا ..لحيته سوداء فيها بياض يعد على الأصابع ..عمامته

سوداء وكذا عباءته ..يرتدى منظارا طبيا على عينين كعيني صقر... سلم خالد

في أدب معتاد ..أما براء فقد فقد ابتسامته تماما وهو يصافحه..

جلسا على عجل هو وخالد لخمس دقائق فحسب واعتذرا بعدها بانشغال

مهم وعاجل..

عندما خرجا قال خالد :رأيت ابتسامه والدك ..مستحيلة ..ابتسامه راضية

..وعينه ..أكثر من راضية..

قال براء :وضحكة ال "باشمهندس "عبد المنعم ..تصم الأذان..

ذهبا لجلسة مع أصدقاء خالد القدامى عندما كان يدرس في القاهرة ..واندمج
سريعا ..وعاد لابتسامته..

عاد بعد صلاة العشاء ..قال خالد انه سيذهب هو وبثينة لزيارة صديق له
وتركه يصعد وحده قائلا : جلسة موفقة مع اهل القبلة.. كانت سلوان ووالده
ومهدى .. كان الحديث يبدوا ماتعا لكنه اعتذر بدراسته وأغلق على نفسه
باب الغرفة ..راجع محاضراته قليلا ..وأمسك كتابا جديدا ليقراه ..وبدا كأنه
يريد أن يمضى اليومين بأقل الخسائر..

في المسجد وفي صلاة الفجر أدهشه أن مهدى يصلى بجوار والده .. كان قد
تخلى عن العمامة وظل بجلباب اسود .. لم يسجد على "تربة " كما تخيل براء
.. كان قد طوى منديلا ورقيا في موضع جبهته فحسب ..بعد الصلاة سارع
بالخروج إلا أن والده قبض على يديه .. براء ..عمك يريد الجلوس معك
..امشغول إلى هذه الدرجة..

جلس .. وانتظر حتى انهى ورده وأنهى والده وصديقه وردهما .. ثم خرجوا من المسجد .. قال مهدي عندها : يا الله .. لو تتخيل يا محمود كم حلمت بهذا الصباح ..

ضغط براء على نفسه ليقول : حقا ؟

ابتسم مهدي وقال : أنت تشبه ولدي .. اسمه مرتضى .. جادلني طوييييلا عندما نويت زيارة والدك ..

والعداء التاريخي والطبقي والفكري والعقائدي أيضا كما يقول مرتضى .. صحيح ما أقول .. أنك تشبهه ؟

سكت براء .. عندها قال مهدي : لم اخبره اننا يوما ما لم نكن نفكر هكذا .. كان الحلم الإسلامي صافيا إلى درجة أننا لم ننتبه أن للنهر رافدين

.. مشايخك وسادات ولدي هم أنفسهم الذين اهتزت قلوبهم يوم قامت الثورة الخمينية .. كلنا حلمنا .. كلنا ظننا أن الراية الإسلامية قريبة .. هم أنفسهم الذين رأوا في الجهاد الأفغاني وبين هلالين " السنن " رايات المهدي ..

لكن الأيام تبدل .. وتتغير .. تركهما محمود لما رأى براء لا يعلق وصعد إلى

البيت .. وبقيا هما فحسب أمام المسجد .. جلسا على السور القصير المحيط

بالمسجد .. قال براء : وتغيرت أنت أيضا ..

عندها قال مهدي : والدك يقول أنك تقول عنى شيئا يمت بالصلة إلى الوفاء

.. الوفاء لإيران .. لكنك لاتعرف شيئا يابني ..

ووالله .. لولا أنك ابن عصام ومحمود لما طرفت لذاك قدر ثانية ..

يوما ما .. كنت هنا .. طالبا في كلية الهندسة .. طالب وصلت علاقته بوالده

حد الخطر عندما أراد دراسة مدنية لاعلاقة لها بالعمائم .. مع اني استفتيت

يومها الخميني ذاته .. وانفقت والدتي حفظها الله من حر مالها لأدرس هنا ..

كان جدي مرجعا .. وابي .. وعمي .. وأخوالي .. وإخوتي .. كلهم معممين

.. كلهم بلغوا درجة الاجتهاد ولما يبلغوا الثلاثين .. وكنت معهم ك .. لا أدري

.. كنت معهم عندها كيزيد ينكث بقضيب ثنايا الإمام أبا عبد الله ..

وما كنت أهتم ..وعندما عدت إلى كربلاء كان الجو معتما بشكل لأتخيله
.. كانت الأخبار قد انقطعت عني قبل تخرجي بستة اشهر.. لقد وصلت يابني
في اربعين أخوای ..قتلهما نظام البعث ..وقتل عمی ..
قتل ستة من عائلتي في يوم واحد ..وترك والدي الذي كان مرضه على وشك
أن ينتهي به ..ماذا تظني أفعل ..ماكان لي غير عمامة اخي المرتضى لرتديها
..وعبائة باقر لألبسها ..وتربة عمي مجتبي لأسجد عليها..
كان الميراث ثقييييييييلا ..ثقيلا جدا يابني ..
قال براء في خفوت :ولا ألومك ..
تنهد مهدي وقال : وكان على ان احمل ميراث العائلة التي تتبعها جل عائلات
كربلاء ..ميراث الألم ..والثورة..
ذهبت إلى مشهد وقم من جديد ..ودرست من جديد ..نلت درجة الاجتهاد
في ثمانية اعوام فحسب ..أنت تظني عميلا لإيران ..لا ..الأمر ليس هكذا
..أنت لاتستطيع ان تجعل ميزان إيران واحدا لكل الدول..

إيران بالنسبة لى مرجعية .. كأردنى يستفتى رجال الأزهر لأنه يثق بهم .. وأنا أثق بهم ..

قال براء : والفلوجة المحاصرة ياسيدى؟؟ ألا تهم مرجعيتك ؟

تنهد مهدي طويلا وقال :ذاك مثلث التوازن يابراء ..التوازن الذى اتعبنى

..إيران تهتمم بالعراق لن فيه مقدسات كالنجف و كربلاء وسرداب سامرا

..لكنها لا تهتم بالفلوجة ذات الأغلبية السنية .. ببساطة لأنها لا حاج لها بها

..

وفى نفس الوقت تريد الاستمرار كفاعل فى قرارات العراق .. والأمر الثالث هو

الاحتلال الأمريكى الذى أثبت أن بعض ساستنا لديهم قدرة على التحالف

مع الشيطان بذاته لأجل .. وانا بين ضميرى .. والثورة التى اريد نقل تجربتها

..والاحتلال

كانت الشمس قد أشرقت تماما ..وبدا كأن أشعتها قد ضايقت براء فقال

:لابد ان امى أعدت الإفطار الآن ..

طوال الإفطار كان براء صامتا تماما .. أما والده فقد كان يتحدث مع مهدي

على تركيب هندسي ما .. أدهشه أن مهدي مازال يتذكر .. مع أنه "عمليا "

توقف عن المهنة منذ سنين ..

فاجأه قول مهدي : تقول كيف أتذكر ؟ صحيح

ابتسم براء وقال : نعم ..

رد مهدي : ولدي يدرس الهندسة في طهران .. أعادني إلى الاهتمام من جديد

..

قال محمود : وعائلتك ؟ ألم تعترض على دراسته ؟

أوماً برأسه وقال : اعترضت .. لكن يا محمود من بقى منها .. على شفاه الله

.. ومحسن رزقه الله بما يشغله .. تذكر محسن الذي كان يقول لي : لقد خرجت

عن منهج آل البيت .. محسن أبناء الأربعة ابتلاه الله فيهم .. والله المستعان

.. وجدى .. وصمت قليلا .. ثم قال وجدى مريض .. ورغم مرضه هذا لم

يسكت بالطبع .. لكن من يعترض .. الدنيا تتغير يا محمود .. تعرف مرتضى

على تشدده هذا لا يستمع إلا إلى الوعاظ المدنيين كما أسميهم .. أشبه بوعاظ
البروتستانت في الغرب ..

ضحك براء وقال : وما المشكلة؟؟

هز مهدي برأسه وقال : ليست مشكلة إطلاقا .. الفكرة في أن التغيير لا مفر
منه ..

ابتسم براء وقال : ولماذا لم ير العالم هذا التغيير في عاشوراء ؟ مشهد الدماء
والتطبير أعادنا إلى عصور لا تاريخ لها .. "ولم تفته إبتسامة والده غير الراضية"

قام مهدي وقال : أغسل يدي أولا ثم أخبرك لماذا

جلس براء على مقعده المفضل مواجهها لوالده ومهدي اللذين جلسا متجاورين

.. أمسك مهدي بزجاجة الماء التي أمامه وقبض على فوهتها .. كانت الزجاجة

فارغة .. اعتدل قليلا ثم قال : مارأيك لو قلت لك سيحكمكم "أحمد النفيس

"مثلا .. تعرفه بالطبع ..

قال براء : لا طبعاً .. لا أوافق ..

قال مهدي : وكذلك كان صدام لنا .. اقترب مني قليلا يا براء .. وقف براء على
بعد سنتيمترات منه ..

ابتسم في وجهه وقال : درست الفيزياء بالطبع .. ضحك براء وقال : وما دخل
الفيزياء بالأمر ؟

قرب مهدي الزجاجاة من وجه براء ورفع إصبعه عن فوهتها .. فابتعد تلقائيا ..
قال مهدي : هذا .. الضغط يولد قوة عند الخروج .. أليس كذلك ؟

قد ترى في مراسم عاشوراء نوعا من تعذيب النفس وتحميل الخطايا للذات
وهذه الخطايا لا يخرجها إلا الدم .. لأخفيك سرا أنني أراها دخلت إلينا عن
طريق النصرانية .. الإحساس بالإثم الداخلي ..

لكن ما حدث بعد سقوط نظام صدام هو ما حدث للهواء بعد ضغطه كثيرا
.. سنمكث طوييلا حتى نتخلص من عقدة الأقليات التي لازمتنا لسنين .. رغم
أننا في العراق لسنا أقلية .. لكن عقدة الاضطهاد .. عقدة أنه في مكان ما .. في

زمان ما .. هناك من يتربص بالحسين لكربلاء جديدة .. هناك من يريد سوءا

بالموالين

قال براء : وأنت ياسيدى ؟ أين عقلك ؟

ابتسم مهدي طوييبيلا وقال : لولاه لما جلست معك هنا الان ..

عندها تذكر براء شيئا فقال : بالمناسبة يا أبت .. د. سيرين كانت ستأتى

بالأمس .. لكنها اعتذرت وقالت أن موعدها اليوم .. ونظر إلى مهدي وقال

: قالت أن لها ودا قديما معك ..

ابتسم مهدي وقال : ذاك ود من باب ود آل البيت عند النواصب .. لا

يودونهم إلا لقربهم من رسول الله ..

ضحك براء وقال : لا .. تذكرك بالخير ياسيدى ..

قال مهدي : لم تكن هنا بالأمس عندما غادر عمك عبد المنعم ؟؟ لعله كان

خييرا ذاك الذى كنت مشغولا به ..

لأقل من ثانية شعر بشئ شبيه بنقرة في قلبه لكن أطفالها بابتسامته وهو يقول

: كان خيرا .. كان خيرا..

سأذهب إلى الجامعة الآن ..قال والده :أدر محرك السيارة قبل أن تذهب

..لأننى وعمك على وشك النزول ..سنطوف القاهرة القديمة كما مضى..

عندها قال براء : تعرف ..محاضرتى فى العاشرة ..لابأس أن أصحابكما فى هذه

الجولة .. لم اذهب إلى هناك منذ متى ؟

منذ متى يا أبى ؟

قال والده : منذ أن نزعك عرق جدك الصوفى رحمه الله وتصوفت قليلا ..منذ

خمس سنوات ..أتذكر؟؟

ضحك براء وقال : رحم الله الجميع ..تذكرت ..سأنزل ريثما تستعدان

للخروج..

فتح السيارة .. وجد كيس الحلوى فى مكانه بين الكرسيين .. كان قد وضعه فيه

بالأمس .. ابتسم فقط .. وجد شريطاً جديداً كان للتو قد أحضره له أحد

زملائه منذ أيام ..

وانتظر وهو يستمع إلى الأبيات التى هزت قلبه يوم سمعها للمرة الأولى:

إن قلت هذا منهجي قالوا تشدد ما تزن

من لي بعبادٍ لهم في الليل أصوات تأن

وأنيسهم محرابهم قلباً شكاً نفساً تحن

فالحق لم يترك لي خلاً يقاسمني الشجن

.. أوقف الشريط عندما دق والده النافذة عليه ..

سألها أين العزم اولاً؟؟

قال والده : اذهب للأزهر .. ومن هناك نذهب للحسين ..

أطرق قليلا فقال والده : على رأيك بأن الحسين لم يدفن إلا في كربلاء .. ولم
تدفن لا رأسه ولا غيرها هناك فأنت لن تعين على المعصية .. هذا ما تفكر به
..

قال مهدي : نحن نسميه مشهد الحسين .. وليس قبره .. أنا كذلك أرى أنه لم
يدفن أى من أجزائه هناك ..

فى الأزهر صلى ركعتين منفردا .. وترك والده وصاحبه يجلسان تحت سارية من
السوارى المطلة على صحن المسجد ..

أخذ يتطلع إليهما من بعيد .. هو لم يجد مشكلة مع الإختلاف من قبل
.. هكذا تربى .. حتى عندما قرر ترك الإخوان منذ عامين .. لم يناقشه والده كثيرا

.. وعندما أحجم عن الترك لم يناقشه والده أيضا .. هو والده الذى علمه

الاختلاف .. علمه أن الله سبحانه وتعالى جمع أقوال الكفار وأهل الإيمان فى

كتابه .. نعم أقام الحجة على الكفار فى أقوالهم لكنه جل وعلا لم

يطمسها .. بل ذكرها .. وأنه سبحانه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة .. لكنه جعلهم مختلفين ..

هو تعلم أن يعتنق العقيدة الأصوب .. التي يعتقدونها أصوب .. ويفهم أن للآخرين عقل آخر لا يشبه عقله .. ولذلك تتغير أفكارهم .. وكذلك عقائدهم ..

لكنه يعيب على مهدي ما رآه عمالة .. هو لا ينكر أن للرجل حجة فيما يفعله .. هو أخبره أن لديه ولدى أهله في العراق هاجس أن يحكمهم من ليس منهم فيفنيهم .. من يخالفهم عقيدة فيتعبهم ..

كان مهدي حينها قول لمحمود : أتعلم شيئاً .. بت أحشى أن أقرأ كالماضى .. تجربة الثورة التي أحببت ان أنقلها تذرني بالخطر الآن ..

مجلس الحفاظ على الثورة لا يجب أن يكون فقهاء فحسب .. يجب أن يضم كل صاحب رؤية إسلامية في مجاله ..

لا أخفيك أننى وجهت مرتضى من حيث لا يدري إلى أن يبتعد عن الدراسة الحوزوية.. الدنيا تتغير والإخوة فى قم على ما هم عليه منذ عرفتهم .. مازالو فى مصطلحات روح الله الخمينى القديمة .. الدولة لن تبقى كماهى لعشرين عاما .. بلا تغيير!

قال محمود : وماذا ستفعل؟؟

هز رأسه وقال : لأدري ! .. صدقا لا أدري .. ماقلته لبراء عن إيران هذا

الصباح لا شبه أبدا ما يتكون فى نفسى منذ فترة

لم تعد إيران مرجعية لى كما السابق .. نعم مازالت .. لكن لس كالسابق ..

بت أخشاهم يا محمود .. أتعلم .. ثارات الفرس القديمة مازالت حية فى النفوس

.. فى بعض نفوس المراجع .. خاصة من أصولهم فارسية ..

قال محمود : لكن أمك إيرانية يا مهدى ..

هز رأسه وقال : لكننى نصف عربى ..الظل الصغير الذى لا يرى فى تعاملاتى
مع المراجع هناك ..سواء فى كربلاء أو فى قم ..ظل لا يرى ..لكنه يؤثر.. أن
العرب هم بنو أمية ..هم بنو العباس ..الذين قتلوا الأئمة..

قال محمود : لس إلى هذه الدرجة ..رسول الله صلى الله عليه وسلم عربى ..
قال مهدي : صلى الله عليه وآله ..أعتقد أن هذا هو السد الأخير لاحترامهم
العروبة ..أنت تظن اننى مخطئ فى اعتقادى ..سترى يا محمود ..ستبدي لك
الأيام..

عندها جاء براء وقال : سأذهب بكم إلى الحسين قبل أن اغادر أم ماذا؟؟
قال والده فى ود : هيا..

دخل الحسين خافضا رأسه حتى لا ترى ابتسامته كالمعتاد ..وعند المشهد رأى
مهدي يلمس بيديه النقش الفضى على واجهة المشهد :هذا قبر الإمام الحسن
ابن سيد الوصيين ..رآه يتلمسها والدمع ينحدر من عينيه ..ابتسم ابتسامة
المتعجب وتطلع إلى والده فهمس والده إليه: ذاك سر بينه وبين الحسين فلا

تفسده بنقاشك .. قال وهو يتطلع إلى ساعته : لم يعد ثمة نقاش .. الوقت

يكفى مسافة الذهاب بصعوبة بالغة .. وداعا .. ربت على كتف مهدي وقال :

جدد حزنك ياسيدي ..

وخرج ضاحكا!

حمزة .. هل اذن الظهر؟؟

التفت حمزة ذى الوجه الأشقر والملامح التي لا تمت للعروبة بصلة إلى صاحبه

وقال : لا .. ليس بعد ..

قبل أن يغادر صاحبه قال : على .. أتعلم أين اجد السيد سياف؟؟

قال صاحبه : تجده على رأس الجبل .. فى مكانه المعتاد ..

قبل أن يغادر جاءت الصغيرة .. زهرة الجبل كما يسميها .. قالت بفارسية

منعمة بلكنة لا ترى : أخى .. أخى .. أن ستذهب؟؟

ابتسم فى رقة وقال : إلى اعلى الجبل ؟ ماذا كنت تريدین ؟

قالت : الحاسب .. به عطل ما .. قال : سأنزل لأراه .. انتظري قليلا .. ألم

تخبرني أنك ستضعي غطاء للرأس .. لقد بلغت الثانية عشر ..

هزت رأسها في إغاضة وقالت : لا .. لن أفعل بعد.

استغفر وقال : هيا ..

قال وهو يقف مشدوها امام الشاشة : نسيت كلمة المرور؟؟ يا الله!

قالت : ماذا أفعل ؟ "وما أنسانيه إلا الشيطان"

قال وهو جلس إلى المقعد : مسكين ذلك الشيطان .. يتحمل اخطاء ليست له

.. انتظري سأجرب قليلا

79serena لالا .. غير صالح ..

serenaaaaaaaaaaaaa غير صالح ايضا

.. seren esam ..

لما رأى الشاشة تفتح قال : وهذا غباء أيضا .. تضعين كلمة المرور باسمك

الصريح .. حقا بارك الله فيك

قالت : وما المشكلة؟؟

قال : لا مشكلة ..رتبى لى ملفات الكتب القديمة و...سكت قليلا..

قالت : وماذا ..قال :لا تعبثى بأشياء والدك ..قالت وقد بدأت بالبكاء : لا

..أريد أبى..

جلس أمامها فى رقة وقال :سيرين ..سيرينا ..زهرتى ..هذا طريق الله ..وهذا

سبيله ..سبيل الله الذى رباك والدك عليه..

..طريق أهل النور ..أهل البيعة

قالت وهى تمسح عينيها بكمها : أريد أن أذهب لجدى فى قندهار!

قال : قلت لك فى الشهر القادم ..الأوضاع الأمنية من هنا لقندهار لا تتحمل

أن اخاطر بك ..لما رآها صمتت ابتسم وهو يتأملها.. تشبه والدها ..لشدة

ماتشبهه .. لم ترث لون عينيه ..لكنها ورثت أنفه ..ونظرته ..وضحكته

..وشعره ..تشبه أستاذه ..أستاذ الأساتذة.. ربت على كتفها وقال :سأذهب

إلى حاجة لى ..تريدين شيئا عندك زوج أبو معاذ ..اذهبي لها

كان سياف صامتا وهو يتطلع إلى الهوة التي تنتهى فى الوادى أمامه :أحس

بصوت القدم من خلفه فقال :حمزة..

قال حمزة : متى نفذ الهجوم القادمة ..قوات التحالف تظن أننا سكتنا

..وتباهى بالأمن الذى تعيش فيه..

التفت إليه سياف وقال : وضعت خطة جديدة للهجوم؟؟

أشار إلى نقطة أمامه فى الوادى وقال : هناك رتل من الدبابات يمر كل اثنى من

هنا ..وقاذفات الصواريخ التى لدينا لاتكفى ..وأنا أفكر فى حل " الألغام "

..الألغام من هناك ..وقاذفات الصواريخ من هنا ..اجتماع الأرض بالسماء..

قال سياف : لقد علمك أستاذك جيدا..

ابتسم وقال : استاذى يا ابو أسامة ..أستاذى..

وكأنه تذكر نفسه منذ خمسة اعوام ..صحفى يدخل أفغانستان بحثا عن قصة

..مجنون ..ومغامر ..يخالف البرود الإنجليزى الشهيريشبه الماء الفوار ..فى

الواحدة والعشرين..

لا يؤمن بالمسيحية .. ولا اليهودية دين والده . لا يؤمن بشئ .. سوى الإنسان

..

يتذكر اختطافه .. فقط لأن صليبا أهدته إياه امه وقع منه بالقرب من مركز

شرطة طالبان .. ويالحظه!

يتذكر خلافاته الشرسة مع الحراس عندما جاهر معهم بإحاده .. ويتذكر أنه

كان على حافة الموت أكثر من مرة كلما لوى أحد الحراس بندقيته تجاهه

.. فيقبض الآخر على يديه ليقول : هذا أسير .. والأسير لا يقتل ..

كان يعرف الفارسية التي يتحدث بها الحراس .. يتقنها ..

ويتذكر بكل حب ذاك اليوم الذي قال فيه أحد الحارسين للآخر .. إن أبو

البراء في زيارة للموقع .. مارأيك لو جعلناه يحادثه .. ربما يصلحه قليلا .. ويتذكر

للهولة الأولى وجه عصام بعمامته السوداء .. ولباسه الأفغاني الأسود ..

يتذكر كيف سأله عن بلاده .. وعن عائلته .. وعن عمله .. ذات يوم قال له

عصام : يوم رأيتك قلت في نفسي .. هذا اسد .. هذا حمزة .. ولم اكن أعرف

عنك أى شئ ..إلا نظرة التحفز فى عينيك ..يتذكر حمزة كيف صار -روبرت
- حمزة ..

كيف أقنعه عصام بالإسلام ..ذلك اليقين الذى كان بين عيني عصام هو
السبب ..بالطبع بعد كتاب الله ..

يتذكر فكرة عصام ..وعقيدة عصام ..وثبات عصام ..ورقة عصام .. يتذكر يوم
اسلم ..تلك الضمة التى ضمها له .. كأنه يوصيه ..يباركة ..يعلمه ..عندما
وصل إلى هذه النقطة قال بهمس وهو ينفثها مع الريح :أنا على العهد يا أخى
..على العهد..

فى الثامنة مساء اوقفت سيرين سيارتها على مدخل الشارع الذى يقع به بيت
محمود ..وفى أوله من الناحية الأخرى بيت عائلة عصام ..الذى تسكنه والدة
محمود الآن فحسب .. هاتفت براء منذ ساعة وقالت انها قادمة ..

لم تشأ أن تدخل بسيارتها إلى الداخل ..لا تطأ ترابا وطئه هو بقدمه إلا
بقدمها ..حتى الآن لا تدخل بسيارتها الجامعه ..

تذكرت ذلك اليوم الشتاى البعيد .. يوم علمت من منال أنه سيسافر .. قالت
منال أنه سيسافر إلى جدة .. لكنها علمت أنه سيسافر سفرا أخيرا .. ولن يعود
.. تتذكر يوم هاتفته من المحل المقابل لمنزلهم وقالت : عصام .. أنا بالأسفل
.. انتظر ..

كأن الزمن يدور .. ويعيد نفسه .. كانت ترتدى لباسا يشابه لون ما يرتديه هو
تماما ..

ابتسم عندما رآها ثم اخفض بصره كالمعتاد .. قالت : ستغادر ..
قال وهو يتنهد : نعم .. سأعود بعد ستة اشهر .. إجازة العمل الأولى بعد ستة
اشهر ..

قالت : عصام .. لن تعود .. أنا أعلم أنك لن تعود ..
اطرق برأسه وهو يقول : لا أستطيع البقاء هنا .. الجو يخنقنى .. كل شئ يخنقنى
.. العمل الإسلامى أحب من هنا كثيرا ..

وأفغانستان تحترق .. ورايتنا مطلعها من هناك .. كيف أبقى هنا ؟؟

سأكون من المخلفين.. أترضينها لى؟؟ أن أكون مستبدلا..مخلفا..

قالت : أنت تذهب إليهن إذن..

ضحك فى ألم وقال : لمن؟؟ للهور العين؟ تفكرين هكذا..تغارين..

قالت : أنسيت أنك أسمعنى وحدى..ودونا عن الدنيا كلها وصف الحور من

نونية..نونية..تذكرت..نونية ابن القيم..

قال : وقد يعزف الرجل عن نساء الدنيا والآخرة..وتبقى امرأة واحدة فى نفسه

..حاجة لم تقض..

قالت : بالله عليك لا تزدها على..بى مايكفى..

قال : سيرين..والله..وقسما برى جل جلاله..لاأدخل الجنة إلا وأنت أول

من اشفع لهم..أن نلت الشهادة الان أو بعد عشرين عاما..

ذاك عهد لا أخلفه..أنت أولا..قبل ان اطا الجنة بقدمى..

قالت : أتأذن لى..

قال : بماذا..

قالت : بشئ لا أبرم عهدك إلا به .. لا أقبله إلا به ..

هز رأسه فى حيرة: بضت على يديه .. لأول مرة فى حياتها .. وأحست به يجفل

للحظة واحدة .. ويستكين .. وقفت على أطراف أصابعها وقبلت جبينه

.. صارت يديه كالجمره بين يديها . ثم أطرقت ..

قال : ثم ماذا ؟

قالت : أنت قلتها ذات مرة لمحمود ولم يدر بخلدك أننى سمعتك ..

فقلت معاذ الله أن يذهب التقى .. تلاصق أكباد بهن جراح ..

وذاك جرح أربع سنوات ياعصام .. وأنا والله أقولها : معاذ الله أن يذهب التقى

ذاك ..

همس : سأشتاقك ..

تلك الدقائق التى أوقفت بها عجلة الحياة للحظات .. كانت تدرى أنها زادت

وجعه أثقالا .. وزادت وجعها أثقالا ..

ذاك أن بعض الوصل أمر من سنين من الفراق ..

لا تعرف أنه لم يتوقف أبدا ولا مرة في حياته بعدها عن صيام الثلاثاء .. ولم تره

يقول كلما أفطر : اللهم اغفر لي ولها ذاك اليوم ..

عندما دقت جرس الباب فتح لها براء في نفس اللحظة .. ابتسم وقال : لقد

عرفت المنزل وحدك؟؟

قالت : أعرفه منذ سنين ..

قال : تفضلي .. كانت والدتي تريد أن تراك لكن لديها موعد الآن .. قالت :

ربما أراها .. وما يدريك ..

ما أدهشه في سيرين هذه المرة أنها كانت تضع غطاء رأس على شعرها .. غطاء

خفيفا .. لكنه غطاء في النهاية .. وهي لاتفعلها أبدا ..

لما رأت الدهشة في عينيه قالت : لقد صار مهدى معمما .. رجل دين .. ومن

احترامى للدين احترامى لرجاله .. أليس كذلك؟

ابتسم وقال : ربما .. تفضلي ..

سلمت على والده ومهدى.. قال والده : كيف حالك ..صرت أطمئن عليك

من براء ..أومأت برأسها وقالت : بخير ..الحمد لله.. قال مهدى : لقد مضى

كثير من الوقت ..وأراك كما أنت .. لم يتغير شئ..

قالت وهى تجلس : بل تغيرت يامهدى .. كما تغيرنا جميعا..

كان النقاش لا يخرج عن حالة العراق والهندسة فحسب..

أما براء فكان صامتا .. لا يدري كيف تسلل له هذا الإحساس بأن ثمة حلقة

مفقودة فى النص ..ثمة هامش لم يكتب ..بل تناقله أصحابه كسر لا يتحدث

به..

والده يتحدث بطبعه ..منفتح فى حدود ..لكن مهدى كان أكثر تحفظا فى

الحديث ..مع أن تحفظه هذا لم يره مع سلوان بالأمس .. كان يضحك ويمزح

..لا ليس كما يتحدث الآن..

وسيرين تغادر جاءت أمه ..تذكر كلمتها وهى تقول : ربما أراها ..وما يدريك

..

جلست مع والدته بينما عاد إلى والده ومهدى .. لم يدخل .. أوقفه على الباب
شئ ما ..

كان مهدى ينقر بيديه على الطاولة وهو يقول : فعلها ولدك بي ..
ابتسم محمود وقال : فرحت عندما اعتذرت بالأمس عن المجئ .. لكنها جاءت
.. طوال الجلسة وأنا أفكر بك .. أفكر بك وحدك ..

قال مهدى : لا تظن أن بي وجعا .. لا والله .. ما بقى إلا كأثر الجرح بعد
الشفاء .. أثر فحسب .. لا يوجع .. ولا يؤلم .. ولا يصنع أى شئ .. ما ضايقتنى
فى الأمر أننى أقسمت يوما أن أحفظ لعصام حرمة .. حتى فى نفسى .. ووالله
حفظتها ..

أن ألتقيها بعد موته .. لا .. أحسست أن الأمر يחדش حرمة فى نفسى ..
وأطرق برأسه وهو يقول : تذكر عصام ..

كان الجو عصرا يومها .. ومهدى جالس إلى جوار أحد المباني وهو ينجز شيئاً
بقلمه ..

جلس عصام بجواره وهو يقول : أنا أعلم ..وأفهم ..ولا يضايقنى الأمر بقدر
ما يضايقنى ضيقك..

قال مهدي : وتنكر الدماء فى عروقك ..وتنكر طبعك الذى طبعت عليه..
هز رأسه وقال : مهدي ..لوكان غيرك لتغير الأمر ..لكنه أنت ..وأنت تعنى
ذلك الفتى الذى مع خلافى معه لم أره فى ريبة أبدا ..رأيتة "سيدا وحصورا "
..وهب أنى أغار منك ..وهب أيضا أن الدم يغلى فى عروقى ..لكن للود
حرمة لا تدنس يا مهدي.. حرمة تجعل رسول الله يشفع لأصحابه ..قبض
على يديه وهو يقول : إنه أنت..

يومها ..أقسم مهدي أن يحفظها لعصام ..وأغلق الباب بمفتاح وألقى المفتاح
حيث النسيان..

أحب زوجه وأم بنيه بعد هذا ..وصارت له كل شئ ..كل مفردات النساء
..وبقى الأمر كما قاله لمحمود : بقايا جرح قديم ..أثر فحسب..

اكتمل النص عند براء تماما .. لم يدر بنفسه إلا وهو يقول : يارب أرض نفوسا

خافتك .. وأرض نفوسا لم تخفر عهدا..

في الصباح كان يفطر مع والده ومهدى .. طائفة مهدى بعد العصر .. كان

براء يقول : الفلوجة ياسيدى .. تذكر أن هناك بلدة تذبح .. قال مهدى :

ياولدى أنا لا أنسى .. لكن .. وصمت...

قبل أن يغادر إلى الجامعة سلم على مهدى وهو يودعه .. ضمه مهدى إليه

وقال : مازال بك بعض الجفاء ياولدى..

وضع مصحفا في يده .. في جلد المصحف الخلفى نقشت كف حمراء .. قال

مهدى بود : ذاك مصحفى الذى رافقنى طيلة هذه الرحلة .. هذه الكف يرمز

صاحبها لكف العباس أخو الحسين عليه السلام .. قطعت وهو يدافع عنه

.. وأنا أقرأ أتمنى على الله أن أكون من المدافعين عن الحق كما كان العباس ..

جاهد ليخفى ضحكته ثم قال : جزاكم الله خيرا.. وضع المصحف في جيبه

وغادر..

فى الجامعه قابل أحمد الذى قال : ظننت أنك اختفيت من الدنيا! ابتسم ولم
يعلق..

فى المساء قابل أنس .. فى درس الأصول كالمعتاد .. فاجأ الشيخ بشرحه لنظرية
الشيعة فى القياس .. ذاك أنهم ينكرونه فى أظهر أقوالهم .. قال الشيخ : أين
ذهبت فى عطلة الأسبوع يا براء ؟

ابتسم براء وقال : لا يا شيخى أبدا .. لم أخرج من القاهرة..

قال الشيخ : إذن جاء مشايخ النجف الأشرف إلى هنا ؟ ابتسم براء وقال :
ربما..

كان مهدي قد شرحها له على عجلة فى الصباح بعد صلاة الفجر .. وأدهشه
انه استوعبها فى دقائق....

بعد الدرس قال أنس له وهما يخرجان : صاحب والدك .. قل لى من هو الآن
..

فى هءوء ءمسم بشئ من الشرود : مهءى الموسوى .. ابءسم انس وقال : راءع

..والءك لا يعرف إلاء الرؤوس!

قال براء : الرءل إنسانى بشكل مفزع .. مفزع يا انس .. ءفاصيله بشرية بشكل

ءريب .. لا ءلك ءفاصيل الشيطانفة ءى ءءخفها إذا رأفناه .. رءل فصر

وفءب وفءءكر وفوء وفءءشى وفءءقى وفءكر ..

قال انس : ءعرف شفاء .. قاله لى والءى عنءما زرءه آءر مرة .. لا أءكر ءفءا

ما الءى ءعله فقول لى هءا ..

كان فقول أن رسول الله صلى الله علفه وسلم كان صءفقا لأبى بكر قبل البءءة

بسنوات .. سنوات ءوففة .. لم فكن ففها رسول الله صلى الله علفه وسلم نبفا

.. ولم فكن أبى بكر هو الصءفق صاحب رسول الله ..

ءلك هى البشرية المغروسة ففنا .. وأول ما أساء فى فعله بعض أهل الصءوة

الإسلامفة أنهم لغوا عامل البشرية من الأمر .. نعم الولاء والبراء مءلوبان

..لكنهم لونوا العالم بلونين أساسيين ..إما معسكر العداء أو معسكر

الأصدقاء..

وهب أننا اختلفنا في حكم شرعى واحد ..وليكن حكم اللحية مثلا ..فذاك

كاف لينقلك من معسكر إلى معسكر..

مع أن التاريخ الإسلامى ليس هكذا ..التاريخ الإسلامى فيه حاطب الذى

خان ..فيه القراءات السبعة ..فيه اختلافهم فى الفاتحة ..ذاك أحكام شرعية..

فيه أبا محجن الثقفى وخمره ...فيه الزبير وشدته ..فيه عمر وغيرته ..فيه

الصفات الإنسانية التى يقدرها مجتمعها ويتعامل معها بناء على ذلك ..صحيح

..فيه قول رسول الله عن ابى العاص بن الربيع زوج ابنته وهو كافر حينها :

حدثنى فصدقنى

قال براء : تعنى أنهم الغوا إنسانية المخالف؟؟

رد أنس : ليس بشكل صريح ..لكنه مفهوم النص ..مفهوم النص أن فلان

هذا كافر ..أو مخالف ..فهو إذن لا يستحق أن نقدر مافيه من خير ..خير

لأنه إنسان .. لأن به من صفات البشر .. وهذا ما أدري إلى تلك الفترة التي

حصر فيها الدين على فلان وفلان .. نعم .. قطعنا كمجتمع الآن شوطا كبيرا

في ترسيخ الإسلام المجتمعي .. لكن أما كان لنا أن نقصر المدة؟

ابتسم براء وقال : لا عليك .. كلها أقدار الله ..

قال أنس : بالأمس جاءني عمار .. تعرف عمار بالطبع .. قال لي وهو ينهي

الحديث وكأنها نصيحة مشفق : أنا اراك تحادث د . سيرين في المحاضرة وغيرها

وهذا يرحمك الله ربما يكون من مودة أهل الباطل وهذا أعيدك عنه ..

ضحك براء بشدة عندها وقال : سيرين .. أهل الباطل !!

قال أنس : المسكينة .. أنا الوحيد تقريبا من ضمن مجموعتنا في الفرقة الذي لا

يجد حرجا في الحديث معها .. امرأة مؤمنة إلى ابعدها حد .. بها إيمان لا تتخيله

يابراء .. وفطنة .. وفراصة لا تخطئ .. تذكر براء موقفها مع والدته بالأمس ..

ابتسم وقال : تلك كانت الدنيا .. لأبي البراء ..

ضحك أنس وقال : لا أتعجب أبدا ..تستحق ويستحقها ..قال براء : لا

احد يجز ان يوجه لى تهمه أهل الباطل بالطبع..

قال أنس : اخفض جناحك للناس ..قليلا قليلا ..ما أريد أن اجعل الدنيا

تفهمه ..أن دفاعى عن من يخالفنى لا يعنى بالطبع أن أكون معه على نفس

المنهج ..الأخ عمار يقول لى : اترضى زوجة غير محجبة!

وأنا والله لا أقبلها أبدا ..ليس معنى اننى أتعامل مع من هو على معصية أننى

أقبلها ..أوف ..بيدوا أننى أحارب طواحين الهواء..

قال براء : اخشى شيئا والله ..أخشى أن نظل هكذا حتى ينكسر السد ..وإذا

انكسر السد لن يعبر الماء كالمعتاد ..بل سيغرقنا الطوفان ..ومن تراه اليوم

يجادلك لأيام على حكم شرعى واحد ..ستجده غدا لا صورة له ..لا تستطيع

أن تمسك بيدك على مظهر التزام واحد منه ..سيصبح الأمر مائعا بلا طعم ولا

رائحة..

قال انس : سنوات قلائل فحسب ..أقل من عدد أصابعى هذا وسترى ما

قلت ..المهم ..ثمّة موقع أريدك ان تراه ..موقع بالإنجليزية تعجبني مقالات

صاحبه ..ممتعه ..وتحمل حسا قريبا من النفس..

اسمه الجبال تهمس .. كتب له الموقع سريعا على ورقة وقال : استمتع بالكتابة

..

قال براء : متى ستذهب لوالدك؟؟ ربما آتى معك..

قال انس : وادى النظرون ..لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم ..حسنا

..سأذهب بعد أيام..

فى المساء فتح الموقع على عجالة .. كان بسيط التصميم ..أسود بخطوط

خضراء..

كان المقال الأخير للتو قد نزل ..منذ ساعة تقريبا..

"عندما قام امريكي اسود (مارتن لوثر كينج) فى الستينات وأعلن أن لديه

حلما بالحياة الكريمة بدون عنصرية واضطهاد ، صفق له العلمانيون والعالم كله

وقالوا .. هذا انسان وكل انسان له حق الحياة بدون إذلال وإهانة للكرامة

الانسانية..

لكن عندما أكون مسلما وأعلن أن لدي حلما بأن أصحو يوما وأجد المسجد

الأقصى بأيدي المسلمين يسمى هذا الحلم تخلفا ويقال عني إني أرهابي وأني

متخلف وجاهل وأوصف بكل الأوصاف البشعة..

وكأن المسلمين ليسوا بشرا وليسوا من جنس الانسان بل هم إما شياطين أو

حيوانات لا حق لهم بالأحلام .. بل حتى الحيوانات تجد من يدافع عنها في

هذا العالم.

أي حقد يملأ أجواف هؤلاء الناس ، لدرجة أن حقدهم يجعلهم يحولون (

الأماني) إلى أخبار .. فتتشر بعض صحفهم بالخط العريض (القوات

الأمريكية تطارد طالبان وبن لادن في أفغانستان) .. وهم يعلمون جيدا أن

الامريكان أجبن من القيام بهذه المهمة وأنهم وكلوا بها أتباعهم من منافقين

وغيرهم . هذا طبعا لو كان أولئك الاتباع يحملون تلك الشجاعة" ..

عند ما حل الصباح كان حمزة حينها في الجبل .. لتوه قد ترجل من السيارة..
سلم على الحراس ..

رأى حمزة ابن العاشرة أمامه .. ابن أبي محمد .. ربت على كتفه وقال:

حمزة .. أعد على تلك الأبيات التي قلتها المرة الماضية .. ابتسم حمزة ورفع رأسه
وهو يقول:

كابول ترفع رأسها رغم الخصاصة والخطر

كابول يبسم ثغرها تؤى وتنصر من حضر

الشيخ يونس قد أوى ليثا يهاب إذا زأر

وأخو البطولة والإباء أميرنا الملا عمر

قبل رأس حمزة ودخل إلى أبي محمد .. قبل رأسه كما اعتاد .. قبل رأس أبا اسامة

أيضا .. وجلس .. كان المجلس به قرابة العشرة رجال .. كلهم تجاوزوا الأربعين

.. من الأفغان والمجاهدين العرب ..

قال أبا محمد : وجدنا من قتل أبا البراء .. هذا تارك الآن ..

هز رأسه وقال : عفا الله عنه ..نظر نظرة سريعة إلى أبي اسامة الذى هز رأسه
بالنفى ..

قال : لأقتله ..افعلوا به ماتشاون ..ثمّة أشياء اخرى يقتل عليها ..خيانته
للمسلمين مثلا ..قال أبو محمد مبتسما : كما قلت منذ قليل ..لن يفعلها
حمزة ..

استأذن بخلو معسكره من القادة إلا قليلا وخرج ..

كان شاهدا على الخلاف العاصف بين عصام وبين الرجلين ..منذ عامين
.. كان عصام يريد الذهاب إلى قندهار التى كانت تحترق حينها ..يومها قال له
أبو محمد : دمك غال يا عصام ..أغلى مما تتصور ..كتاباتك ودراساتك تجد
طريقا فى العالم ..ليست كمثلنا ..

قال عصام : وخلاصى أنا؟؟ أنا أريده ..أريد الشهادة ..فى أرض بها حرب
حقيقية ..لا بقذيفة تاتى من السماء لم أتجهز لها.. قال أبو أسامة : عصام
..لا تجعل الأمر هكذا ..لك أجر الشهداء يا أخى...

ألقى عصام بقلم كان في يده وقال : هه .. لا نامت أعين الجبناء .. أترضى
بأجورهم أنت؟؟ أنا أريد أجرى وأجورهم .. والدماء التي نزت من قبل .. إن
كنت تذكرها مازالت تحيط بعنقى .. ستخنفني إن ارتضيت نهاية غير نهايتها ..
قال عمر الذي كان دائم الصمت لا يتحدث إلا قليلا .. اتركه يا أبا محمد
..عصام لن يقعد هذه المرة ..

قال أبو أسامة : وابنتك .. لمن تتركها؟؟

ابتسم عصام وقال : رأيك أكبر من هذا ذات مرة .. ابنتي أتركها لربي .. لن
يخذلني فيها .. بصدق أنا أتعجب .. الشيطان يع الكلام على لسانك ..
رد : لا... لا والله ما قصدت هذا .. أردت فقط ان اجعلك تفكر ... نحن نتغير
يا عصام .. لكن كتبك تحمل نورا بداخلها .. تحمل روحا صادقة تصل ولو لم
تسود حرفا واحدا ..

ابتسم وقال : يعدكم ويمنيكم .. وذهب إلى قندهار بالفعل ..

توقفت أفكاره عندما رأى سيرين تجلس على أحد الصخور وهي تبكى

..جلس امامها على ركبتيه وهو يقول : ماذا حدث؟

قالت : مروان ..ذاك الأحمق الصغير .. قال لى أننى غبية..

ضحك وقال : لا...لا يجرؤ ..أنت أذكى فتاة على وجه الأرض ..ابتسم فى

صمت وهو يفكر أن من المفارقة العجيبة فى الدنيا أن تكون ابنة عصام هكذا

..هشة كأرق زجاج ..رقيقة كطيف ..تجرحها النسمة كما يقال ..قبل رأسها

وقال : هيا قومى ..سنذهب إلى جدك ..أريدك جاهزة بعد ساعة ..الطريق

طويل ومتعب..

سلوان ...سلوااااااااااااان ..ردى على إذا سمحت ..التفتت إلى آمنة وقالت :

نعم..

قالت آمنة : سأذهب إلى ابى بعد أيام..ما رأيك لو أتيت معى ..سأذهب أنا

وامى ..التفتت وقالت : وادى النطرون ..اللهم لا ..لا اريد الذهاب إليه..

قالت آمنة : ولم ؟؟

تنهدت وقالت : يذكرني بعمى أحمد رحمه الله .. لا احب تلك الذكريات ..

قالت آمنة : عمك أحمد قضى هناك عشرة اعوام .. لا سبعة عشر عاما .. من

الذى يحمل ذكريات أسوأ .. أنا أم أنت ..

ابتسمت سلوان وقالت سأستأذن أبي وإن كان الرفض سيكون ب ٩٠ في المائة

.. ابتسمت آمنة وقالت : لدينا عشرة كاملة .. هيا ابتسمى .. مابك ؟!

قالت : لأدرى .. أفكر في نفسى .. أريد أن أتغير قليلا .. أن اجرب نفسى في

مسار جديد .. لم يعد لما أفعله معنى .. أذهب للمسجد .. القرآن .. أخيرا

الأسرة .. غير هذا لا شئ .. لا اجد دافعا يا آمنة .. وجدت نفسى هكذا

.. تربيت هكذا .. لم افكر يوما لم أفعل هذا .. هل احبه أم لا؟ هل أتقرب إلى

الله أصلا به أم لا ..

تعبت .. كل شئ يغدوا بالنسبة لى ضبايا .. هل انا على طريق الله أم لا .. هل

هذا هو الطريق أم لا .. صرت لا أدرى .. تدهورت حالتى فى يومين فحسب ..

قالت آمنة : الحمد لله .. الحمد لله .. لهذا إذن رأيك مع الأخت عائشة

..ستصبحين سلفية؟؟

ابتسمت وقالت : ربما..

ضحكت آمنة وقالت : تلك عقيدة ياحمقاء ..عقيدة .. لا قرار يتخذ فتمشى

طبقا له ..تلك فكرة نحيا لأجلها ..أنا أحيا لفكرة ..وأنت ..الله أعلم ربما

مازلت تحيين لفكرة أخرى أم لا..نحن مجموع أفكار المجتمع الإسلامي

..بصراحة استغريك..

قالت : ولم لا؟؟ لم لأتخذ قرارا بمنهج امشى عليه ..مللت من نفسى..

مسحت وجهها من تحت النقاب وقالت : سلوان ..حرت فيك..

في طريق عودتها إلى المنزل فتحت حقيبتها لتخرج منديلا ..وجدت حلوى

ملفوفة بورقة كتب عليها : بحلم لو عاد الإسلام يحكم من تانى ..افعلى

ماتشاءين بأفكارك ..لكن اجعلى هذا ضابطها ..دولة مسلمة ..آمنة..

بعد الفجر جلست مع والدها ..أخبرته بأمر آمنة ..قال : لعلك لا تودين
الذهاب حقا..

قالت : كرهته يا أبى ..ابتسم وقال : لكنك ترين اليقين فى وجوه البشر هناك
..أراك تتخبطين بين الأفكار هذه الأيام ..اذهبي ..لعلك تجدين اليقين ..
فى صباح اليوم الذى اعتزمت فيه الذهاب مع آمنة كانت ترتب كتبها على
الطاولة ..

وجدت "رسالة إلى شهيد " ترنيمة الحب الأولى فى تاريخ الصحوة الإسلامية
..أمانة وكمال ..فكرت عندها كم لجدران السجن من ذكريات لقلوب البشر
..للقلوب التى أحبت ..وربما افترقت ..لنبضها ودفئها ..
رددت بينها وبين نفسها ..ربما ..ربما يأتى اليقين ..

فى الطريق كان براء يقول لأنس : ألا تفكر أبدا ماذا سيفعل والدك إذا خرج

؟؟

ابتسم وقال : سيفعل اشياء كثيرة .. له مراجعات وأبحاث كتبها .. ورسالة

الدكتوراه فى الشريعة .. لا .. والدى لا يقف أبدا .. سينشر هذه الأبحاث

.. سيعود للدعوة .. لو تعرف يا براء .. والدى يعرف انه سيخرج .. لن يموت فى

السجن كما قال له الحراس .. يعرف ماذا يريد .. ربما الخلوة أورثته صفاء روحيا

لا مثيل له ولا نظير .. ربما ..

قال براء : أحب أن أرى هؤلاء .. أولئك الذين لم يطمسهم ما حدث فى

سبتمبر .. بقيت احلامه حقا مشروعاً ..

قال انس : قرأت مقال الرجل إذن .. الأحلام المشروعه ..

قال براء : اسمه حمزة ؟ تقريبا .. قال أنس : نعم .. اسمه حمزة .. لغته عذبة

.. بسيطة .. كانه يعرف العربية .. تراكييه كانهما تعرف العربية ..

قال براء : كلما ذكرت اسم حمزة تذكرت الصغير ..

ضحك انس وهو يقلد الطفل فى براءته وصموده فى ذات الوقت : كابول ترفع

رأسها رغم الخصاصة والخطر ..

أفكر فيما فعلته طالبان .. فى مجلس العلماء الذى اجتمع لىناقش هل يسلم بن

لادن أم لا.. وهو يعرف ثمن عدم التسليم جيدا .. حرب .. لن تميز احدا..

طالبان علمتنا شرف العرب القدماء .. أعادت ذكريات ذى قار وأيام العرب

.. لكن بلغة فارسية هذه المرة..

تنهد براء وقال : لاتذكرنى .. كلما تذكرت حرب أفغانستان .. تذكرت العراق

.. وقد سلمها أبناؤها .. وإخوتها .. كأنهم تنكروا للخليل بن احمد ! لشرف

اللغة .. دعك من الدين .. شرف اللغة..

قال انس : الشرف هنا .. فى القلب يا براء .. فى العقيدة .. فى الإيمان .. فى

الثبات .. أما هذا العهر .. فلا لغة له..

تنهد : احس بالعجز .. بأننى مكبل تماما إذا تذكرت ما يحدث .. لو أردت ان

تعمل فى المجتمع المدنى فحسب ستطرق قلبك طرقا دماؤنا التى تسيل .. وإن

أردت الأخرى .. فدونها سدود .. أنا اضعف من أن أكسرها .. ربما الفكرة غير

مطروحة اصلا .. فهناك من يؤدى فرض الكفاية عنى .. تعلم ولو ان الأمر بعيد

عنى لا يمسنى إلا أن مراجعات الجهاد نقرت قلبى نقرا .. لم يتراجع إن كان

يؤمن بفكرته وهو فى كلا الحالتين سيدفع الثمن لا محالة..

تامله أنس وقال : لاتعلم شيئاً إذن عن الأمر ..الجماعة يا براء تدفع ثمنا باهظا

..باهظا لا تتخيله..

عمتى تقول لى : من كان يصدق أن فلان وفلان ممن شهدت لهم الأمة بالخير

وكانوا وكنا صاروا هكذا ..رجعوا عن ما أرادوا ..ولا تعلم عمتى أننى كنت

اكتب الحواشى لعمى وهو يراجع مع من راجع ماكتب..

تطلع إليه براء : أنت ؟

اعتدل انس وقال : ليست كل المراجعات باطلا ..وما كلها حقا بطبيعة الحال

..لكن أفكار استحلال الدم تحتاج وقوفا مع النفس ..ماذا فعلنا بأنفسنا ..ولم

سالت كل هذه الدماء؟؟ تحتاج تفكيراً يابراء ..أبى لن يخرج من السجن

..على فرض ..ليس هذا ما يحركنى..

مايجركنى هو أن لاتسال دماء جديدة باسم المصحف ونسبتها لكتاب الله
مرسلة ..سندھا منقطع ..أو فيه وهن ..فهمتني ؟ ليقولوا ماشاؤوا ..ليقل عمار
أننى متهاون ..ولتقل عمتى أننى مخذول ..وليقل من قال أننا كتبناھا للأمن
ومداھنة للطاغوت

لكنه دينى ..دينى الذى القى الله به ..ولن يقف احد معى لأحاسب يوم
الحساب ..

سأرسلھا لك عندما نعود ..أقرأھا واخبرني ..مارأيك .. لما طال صمت براء قال
أنس :

هل قرأت هذه : أكرهها ..واشتهى وصلھا ..وإننى أحب كرهى لها..

أحب هذا اللؤم فى عينها ..وزورها إن زورت قولھا..

ابتسم وقال : نزار ! لا موضع له هنا ..قال أنس : لا ..موضعه هنا ..إذا زاد

الغم ..أنت الذى قلت تريد زيارة ابى وانت الذى اوصلت الحديث لهذه النقطة

..فهون عليك ..لقد سقتنى الدنيا مرار حنظلها ..ولكن ها أنا ..الحمد لله إن

أصابتنى الضراء الحمد لله وإن أصابتنى السراء الحمد لله..

قال براء : بمناسبة السراء ..كانك ستعيد العهد اليوم ..عهد المؤمنين..

ابتسم وهو يطرق برأسه : لا ..لا اظن..

قال براء : كانك تعزى نفسك لتسر إذا فقد سبب العزاء ..ضحك وقال :

تعليل نفس فحسب..

فى الزيارة وعندما رأى تغير وجه أنس عرف أنه رآها ..فقبض على يديه وقال :

نذهب لوالدك اولاً..

كان والد انس عجيباً بحق ..لحيته سوداء تماماً لا يخالطها شيب ..عيناه لم

تنكسر ولم تنطفئ ..به شبه كبير بأنس ..سلم على براء بود بالغ وهو يقول :

لم أر أنس يشغل باله بأحد من قبل مثلك...

قال أنس : قليلاً قليلاً ..هو به غرور والعياذ بالله ..سيخسف به الأرض ..فى

الخير طبعاً ..فلا تزده يا أبى..

قال والده : دعك منه .. لقد قال الشافعي : همتي همة الملوك ونفسي .. نفس

حر ترى المذلة كفرا..

لكن العيش في زمن الأرانب يجعل الذئب نوعا نادرا ومكروها ..لنه يبرز

ضعف الأرانب..

قال أنس : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..متى اكتب عقد التبنى يا

ابى ..هذا زمن لا يحكم بشرع الله!

قال والده : أنت النص وكل ما سواك هامش..

جلس معه قليلا وارتأى ان يتركه مع أنس ..فقد نال ما أراد ..نال ثواب تصبير

المجاهد وتثبيته ..ونال النظر في وجوه الصالحين.. وقف بعيدا وترنم بينه وبين

نفسه في همس : يا جنود الله صبرا ..إن بعد العسر يسرا

لا تظنوا السجن قهرا ...رب سجن قاد نصرا..

ورأى سلوان أمامه مباشرة وهى تقول : ماشاء الله ...أى ريح طيبة اتت بك

هنا ؟

ضحك وقال : نفس الريح التي اتت بك هنا .. قالت : خجلت من نفسي

.. خجلت جدا .. إوالدها ينسج الصبر نسجا .. وانا تشغلني تلك التوافه ..

قال : ربما هذه لحظات قليلة من الاعتراف بالنقص التي تمرين بها الان

.. لحظات تاريخية ..

قالت : تعرف .. أنا أعترف .. ربما هذا افضل ممن يظن نفسه رب السيف

والقلم والمسطرة أيضا ..

أدار وجهه ثم التفت وقال : كما تشائين .. أعطني هدنة قليلا .. ظننت أننا

تهادنا يوم الجمعة .. يوم كربلاء .. قالت : حسنا .. لعلك تحاسب نفسك وأنا

لأدرى ..

ابتسم وقال : رائع .. كيف حال العائلة ؟ قالت : بخير الحمد لله .. صحيح

نسيت .. اسأل لي خالد زوج بثينة عن دروس النساء وعن المشايخ .. تعرف بثينة

لا صلة لها كبيرة بالأمر .. ولا ترحب بالفكرة اساسا ..

قال في دهشة : ستغيرين المنهج ؟؟

قالت : ولم لا؟ ولم لأقرر قرارا وأسير عليه..

قال : الثياب الطويلة لا تناسبك ..هزت رأسها فى دهشة وقالت : ماذا؟؟

قال : إنها ليست موضة ثياب تقررین تغييرها يا فاضلة ..تلك عقيدة ..وهذا

منهج .. لا طريقة حياة كالميكروبيوتيك ..فهمتيني بالطبع ..ليست صرعة

حقائب أو احذية ..وتفكيرك بهذا الشكل يجعلها هكذا..

قالت : إذن ماذا أفعل..

قال : إكراما لنها المرة الوحيدة التى أقررت فيها بالجهل وعدم المعرفة ..عودى

من جديد للمنباع ..اقراى الظلال ..وكتب الحديث ..اقراى المعالم ..المنطلق

..تدارسيها ..سيصبح الأمر اوضح بكثير..

عندما غادر هو وانس قال أنس : من هذه؟؟ التى وقفت معها..

قال : ابنة عمتى ..جاءت مع صاحبك..

قال : أقول لك شيئاً ولا تغضب .. لم ار في حياتي اثنين يتشابهان إلى هذا الحد .. ليس الشكل .. لكن ال ... ماذا اقول .. ال هالة التي تحيط بهما .. ثمّة شبه غريب بينكما .. شبه روح ..

ابتسم براء وقال : لن أفهم تلميحك السخيف .. الذى اصر على وصفه بالسخف .. لأمر بسيط جدا .. أننا متشابهان نعم .. ومتوازنان أيضا .. لا نتقاطع ابدا .. ولا ننكسر ..

ألقي أنس بالجريدة من يده وقال : دروس المنطق الرياضى هذه لا تفعل شيئاً .. على الأقل بالنسبة لى ..

أنا قلت رايًا .. اقبله .. ارفضه كما فعلت .. سخفه كما تفعل ،، هذا رأيي ...

"يا فرحتى بمنيتى ... اليوم أنهى غربتى"

"ولقائنا بمليكننا ... ومحمد والصحبة"

كان أنس يتزعم بها فى الطريق فقال له براء : أظن كل الناس فى غربة إلا أنت .. تفاجئنى بمعرفتك بطرق الدنيا الخلفية .. كان بيتسم وهو يقولها .. رد أنس :

غربة... تلك كلمة تهون جنب ما ألقى يا براء.. قل لى أنت أولا.. أتחס

بالغربة؟

ابتسم وقال : فى الغالب لا.. كانت مدرستى إسلامية حتى السادس الابتدائى

..ثم الست سنوات التى قضيتها فى مكة حتى الجامعة.. كان الوسط ملتزما

..لكن..وصمت..

قال أنس : فى لحظة ما..وعندما تعاضمت هيبة الإسلام والدعوة فى قلبك

اغتربت..

تنهد وقال : ليس هكذا.. كانت فترة قصيرة تلك التى شعرت أن الدنيا تضيق

بى..لا أريدها..تخفى..عندها عقدت العزم أن أجعلها هى الغريبة..ولم

افكر إلى الآن هل نجحت ام لا..

قال أنس : أما أنا فقد اغتربت كشيبييرا جدا..نحن لدينا فى الجماعة أدبيات

تربية وأشياء كهذه..لكن عمى حفظه الله كان حريصا جدا أن يجعلنى أرى

الدنيا من منظور الاخرين..لا منطلقنا فحسب..خاصة من لهم ماض

ومستقبل وتاريخ "مشرف.. " ومن هنا جاءت الغربة ..لما قررت ان ألتزم

بمنظوري الشخصي للإسلام ..منذ أربع سنوات تقريبا ..وأنا الغربة تمزقني

..إحساس البعيد الغريب مر .ووالله ما قلتها لأحد أبدا..

كلما ضاقت عليا الدنية تعزيت بيوم سألقى فيه الأحبة ..عندها لن أكون

غريبا ..سأكون أنا ..سأحمل من اسمي نصيبا لنفسى للمرة الأولى "أنس.. "

ربت براء على كتفه وقال : ستلقاه ..في الدنيا قبل الآخرة...

قبل أنس رأسه وقال : وقد لقيته معك..

كانت الفترة التي تلت هذا العام أقسى من الفترات السابقة على براء...

استشهد الرنتيسي ..وبدا ان الحركة الإسلامية تدخل منحني جديدا وعرا

..علاقته بأنس صارت أقرب كثيرا جدا..

كانت الأجواء في العالم الإسلامي تشهد تحولات عجيبة.. انتقال أعمال
القاعدة على الدول العربية.. مشكلة القاعدة أنها حركة تعمل بنظام الفرانشايز
للأسف.. فهي ليست حركة مؤسسية كما قد يتخيل البعض..
ليست كتنظيم الإخوان المسلمين مثلا.. بل هي فكرة تنتقل فحسب.. يكفي
أن يتجمع أربعة أو خمسة من الشباب الذين يحملون في عروقهم هما إسلاميا
حارا حقيقيا.. وبالإستعانة بالشيخ "جوجل" والمراجع العظام "راييد شير"
و"ميغا آبلود" وينتهي الأمر..
يلزم لإنشاء التنظيم زجاجتي مولوتوف تلقى على دبابة للجيش أو الشرطة
.. وصفحة واحدة من نظريات الشيخ أبي القعقاع الجنوبي أو الشمالي حسب
المنطقة التي ينتمى إليها.. وجهاز كمبيوتر واتصال انترنت.. وكاميرا جوال
بالطبع لتصوير البيان الأول.. وشماع أكيد..

المشكلة التي لا يفهمها الكثيرون ولا يوجد لها حتى الآن تنظير حقيقي صادق

ومخلص .. من قلب محب للجهاد لا من قلب يكرهه .. ومن عقل يفهم أن

هؤلاء عقلاء وليسو خونة أو مغرر بهم كما تروج اكاذيب إعلام الطواغيت ..

لماذا لا تعلن القاعدة خطة سيرها واضحة جلية .. نحن فعلنا كذا لسبب كذا

.. نحن تبيننا أولئك الشباب للأسباب الالية .. ويتمنى الكثيرون عليهم أن لا

يتدخل ابن تيمية للحديث وحيدا هذه المرة...

لماذا لا تدفع القاعدة الخبث عن نفسها وأصلها الطاهر .. لا أحد يعلم!!

تدهور الوضع في أفغانستان أكثر .. قررت الحركة طبع رسائل عصام ونشرها

بشكل أكبر من السابق ... وقد كان ..

حالة العراق بدا أنها تتوغل في أنهار الدم .. أكثر مما سبق بكثير .. انتقل على

إثرها مهدي إلى مشهد حيث عائلة والدته .. ولم يبد عليه أنه وجد استقرارا

نفسيا هناك بأي شكل ..

كانت السنة الأخيرة له في الجامعة.. تخرج أنس قبله بعام.. هاتفه ذات مساء على غير العادة..

سأعقد قرانى هذا الأسبوع.. ضحك براء وهو يقول : معذرة.. ثمّة شىء فاتنى هنا.. متى خطبت ياسيدى؟؟

قال أنس : لم يرض أبى بالخطبة... قال أن البيت خال إلا من خالتي وهى.. وسيكون الأمر صعبا ووو... وبصراحة راقت لى مبرراته.. ضحك بشدة هذه المرة وقال : والبعض يأتيه الماء باردا مبردا... لكن ألا تفكر فى المسافة التى ستقطعها لتجد الماء.. ثلاث ساعات.. قال انس : أيها الأحمق.. انتظرت تسع سنوات تقريبا.. ألا أنتظر ٣ ساعات..

ضحك مرة أخرى وقال : وقبل رمضان بأسبوع واحد... ستعتكف فى الإسكندرية هذا العام؟

كشر أنس عندها وهو يقول : المهم أن أنتهى من هذا الانتظار المثقل..

عندما انتهى من المحادثة سأله والده : ما بك ؟ تبدو سعيدا للغاية..

وضع الهاتف وجلس على كرسيه وهو يقول : أنس .. سيعقد يوم الخميس بإذن
الله..

قالت والدته : انس من؟؟

قال : معك حق .. أنس لم يخطب أصلا .. ظروف عائلة العروس متشابكة
قليلا كظروف عائلته .. ولهذا سيعقد مباشرة أيضا

قالت والدته : لكن ألا ترى يا أيها السعيد خطأ الأمر .. على الأقل يعرفها
.. الملامح الأساسية لشخصيتها..

ضحك وقال : امي ... أنس يريد لها منذ تسع سنوات تقريبا .. مذ كان في

الرابعة عشر .. وفي هذه الحالة .. أكمل والده ضاحكا : لم نر للمتحابين مثل
الزواج..

قالت والدته : العقبى لك .. بامرأة تحدث "مث " فى حياتك .. لتقرر أن تعقد
مباشرة بلا انتظار..

ابتسم فى ود وقال : الشرط أن أحدث انا هذه الفوضى اولا..

قالت والدته وهى تلتفت لأبيه : محمود .. لاحظ نبرة الصوت الهادئة النقية
.. صحيح انه لم يتخلص من غروره بعد .. لكنه يتحدث بهدوء..

أشاح بوجهه وقال : الله المستعان يا أمى .. علا صوتى .. انخفض صوتى .. لن
اصل ابدا لحالة الرضا التام التى ترضينها على بثينة دائما..

فتح والده ذراعه له وقال : قلت لك من البداية .. الابن سر أبيه .. والابنة سر
أبيها..

قالت والدته : والأم سر الأب والابن معا .. لديك اعتراض يا محمود؟؟

قال : معاذ الله .. منال تاج رأسى..

قام براء من مقعده وهو على باب غرفته قال : أبى .. ضربة موفقة..

فتح هاتفه..

كتب رسالة سريعة.. السلام عليكم .. كيف حالك أستاذتي..

أحببت أن اهنئك أولاً قبل كل أحد..

شهر مبارك ..على طاعة وبر وإحسان..

انتظر لدقائق ورن هاتفه .. كانت سيرين..

اخذت علاقته بها منحى آخر منذ مدة طويلة .. كان يفطر معها أول اثنين من

كل شهر .. يراها أهل ود عمه..

أما سيرين فقد رأت فيه ولدا لم ترزق به..

في المرة الماضية كان يقول لها على عجلة : تظنين أن لجامعه سيستقر أمرها

بهذا الوضع المنكر ..مناهج توقفت عن العمل ..مناهج من عصر الفحم تقريبا

..

ضحكت وقالت : سأقول لك شيئا .. أنا أوّمن به بغض النظر عما قد يراه
أحد من كون الأمر تطرفا في نظرية المؤامرة .. تتخيل أننا إلى الآن مازلنا نعمل
بنظرية إطارات دنلوب ..

هز رأسه في تساؤل : كيف ..

قالت .. ثمة محاضرة قديمة لا أذكر اسمها .. عصام رحمه الله أهداني إياها منذ
... عصر البخار تقريبا بناء على ترتيبك الزمنى للوقت ..

كان المحاضر يتحدث على الطريقة التي وضعت بها الأسس التي تحكم عملية

التعليم إلى الآن .. إلى الآن يا براء .. أن تجعل العقول كلها إطارات فكرية

بشكل واحد .. دنلوب آفة التعليم الإنجليزية الأولى في مصر ..

طريقة أننا نضع جيلا لا ينتمى إلى شئ .. لا إلى دين ولا إلى أخلاق .. ولا

حتى إلى نهضة حقيقية ..

فى الوقت الذى كان العلم التجريى يجتاح العالم كان الشباب يغرقون بكم
النقاشات الفكرية الحلزونية التى لا تؤدى إلى شىء .. هز الثوابت ونزع القيم
.. إتلاف المبدأ وجعله عادة .. إرث حضارى .. لاحظ ان هذه الكلمة أنيقة
جدا..

إرث حضارى .. عندما تسمع احدا يتحدث عنها تشعر بمدى التحضر وو
.. لكن فى الواقع هى تصنع بك شيئا من الداخلى .. تعبت بمصطلحاتك
الداخلىة المعرفية .. إن هذا الأمر مهما كان شريفا ونبىلا هو إرث .. قديم .. بالى
.. لو حافظت عليه سأحافظ عليه لأنه إرث .. وليس لأنه مبدأ يستحق أن
أفكر به وأعتنقه أيضا..

ابتعدت بك عن النقطة الرئيسية.. لن تجد منهاجا تجريبيا حقيقيا مادام العاملون
عليه وعلى سياسة التعليم ككل من إطارات دنلوب أو إطارات إطارات
دنلوب... نقطة فى آخر السطر.. قال مبهوتا : أبدا لم أفكر هكذا..

قالت : لاتدع نظرية المؤامرة تعوقك تماما عن العمل .. لكن لا تنكرها .. تذكر

قول الله تبارك وتعالى " ويمكرون ويمكر الله " هذه هي السنة الإلهية في الأمر

.. عدلت حجابها ثم قالت : قراءة التاريخ تفيد..

تجبت منذ أشهر قليلة .. قالت له يومها : لعله في موازينك .. كنت تتحدث

عن بقائنا أسرى لأفكارنا السابقة .. وعن أهمية العبودية كمحرك أول لتغيير

قناعاتنا وأفكارنا .. وجدتني أفكر فيما قلت .. وكانت هذه النتيجة فحسب ..

تنهدت : لعله يرتاح الآن أكثر..

يوم عقد أنس كان قد امضى الليلة في بيت بثينة .. في الصباح كان خالد يقول

له : لكن أنس صاحبك هذا على خير .. نحسبه على خير بالفعل .. قال :

أعلم هذا .. لكن لم؟؟

قال خالد : الشيخ عمران عبد الكريم .. احتلت عليه أيام العقد .. تذكرين يا

بثينة .. احتلت عليه كى ياتى فقط .. يأتى إلى العقد ليدعولى ورفض بأن بقلبه

أحزان لا تنطفىء..

وهو الذى سيعقد لصاحبك كما تقول..

قال براء فى هدوء : إنها حفيدته التى ستتزوج ..ابنة ابنته ..لعلها بداية أفراح لا

تنقطع ..أنت تعلم أنهم أسرة مبتلاة ..مبتلاة إلى أقصى ما نتخيل .. دمعت

عينا خالد وقال : يارب أفراحا لاتنقطع لهم وللمسلمين..

قبيل العقد بقليل كان أنس يميل إلى أذنه وهو يتزعم : يافرحتى بمنيتى ..اليوم انهى

غربتى..

قال براء : أبدا لم أقلها فى حياتى لأحد ..قبحك الله ..هذا كلام تردده يوم

عرسك ..ابتسم أنس وقال : كل يغنى على ليلاه ..بين المنية والمنى نتقلب

..بعد العقد قبل رأس أنس ووقف بعيدا ..كان يراه من بعيد يتقبل تهانى من

حوله ..وبعينيه لمعة لا يخطئها أحد .. خرج من المسجد ودار حوله من الخلف

.. لم يكن ثمة أحد هناك..

جلس على الرصيف المرتفع قليلا على غير العادة عن الأرض..

أرسل له: قد صار عهد المؤمنين مختوما بالعروة الوثقى السماوية ..بارك الله لك

..

كان الجوباردا قليلا ..برد بداية الخريف ..طوى ذراعيه وسكينة تغمره بشكل

لا يصدق ..يعرف الان أن هناك قلب واحد على الأقل يضطرب خفقانه فرحا

..قلبان على الأقل للدقة ..قلب أنس وآمنة ..وهذا يكفيه ليسكن ..

أحس بأحد يجلس إلى جواره ..وبدون أن يلتفت قال : تعرفين ..توقعت أن

تخرجين باكرا من العرس أيضا ..

قالت : المهم أنني أراها سعيدة هكذا ..كاف تماما بالنسبة لى ..غير هذا فأنا

لا أتحمل البقاء فى الزحام .. لم أبقى ..للنساء ونظراتهن .. شربت من زجاجة

الماء بيده ..مدت يدها المفتوحة إليه بالحلوى وهى تقول : حلوى ..

قال فى غيظ : سلوان ..مازلت ترتدين النقاب على شرطك؟؟

قالت : وما المشكلة؟؟ أنت تعرفنى ..والبقية يجاوزون الخمسين الان ..

قال : نحن فى الشارع إن عدمت الرؤية... رؤية البصيرة بالطبع..

قالت : لا أحد هنا .. هل ستغادر اليوم؟؟

قال : نعم سأغادر اليوم .. قالت : أبلغ خالتى سلامى إذن ..وخالى بالطبع..

قال : نعم الحمد لله ..تذكرت خالك أخيرا ..جيد ..يبدو أن الزهايمر لم

يزحف على بقايا معلوماتك إلى الآن ..تناول الحلوى منها وهو يقول : ماذا

تصنعين هذه الأيام؟؟

صمتت قليلا للحظات .. قالت : أوشكت على أخذ الإجازة من الشيخ ..لى

درس تجويد ثابت هنا أيضا .. فى المسجد ..إن كنت تسأل عن الجامعة

فجيدة ..لا بأس بها ..أتعزى بأننى سأنتق منها العام القادم..

ابتسم فى صدق وقال : لا عليك ..ما الكتاب الذى أنهيته هذا الصباح؟؟

قالت : نعم ..ستخبرنى فى كبر بأنك أنهيت اليوم قراءة الكامل فى التاريخ ..لا

بأس ..أما أنا فأنهيت " حب وكبرياء.. "

ضحك وقال : تعرفين متى قرأتها .. منذ .. لا أتذكر جيدا ..

قالت : ماذا الآن .. الزهايمر يزحف؟؟

قال : لالا .. منذ ٤ أعوام .. مع عدم حبي لهذا النوع من القراءة إلا أن أسلوب

جين أوستن مدهش .. ففي الوقت الذي كانت الحرب فيه تدق طبولها

.. كانت جين أوستن ترسم العالم الخاص بطبقتها حينها .. عالم يعيش بين برك

الماء والغابات ورحلات الصيد .. والفتيات الرقيقات ال غيبات .. معذرة .. عالم

مختلف ..

الرواية جميلة بالفعل .. لكنها ليست أفضل ما كتبت .. رغم أنها الأشهر ..

قالت : دعني أصارحك بشيء ما .. من المفترض أنني من يلقي عليك هذه

المحاضرة المتعلقة بالأدب الإنجليزي .. هذا يثبت عدم جدوى دراستي من جديد

..

ضحك ولم يعلق .. ثم تطلع إلى ساعته وقال : سأعود لأهني أنس .. وقد أمر

على عمتي قبل أن أغادر .. بالكاد سأصل العشاء ..

قالت : أراك إذن ..

في طريق عودته أخرج هاتفه وكتب ملاحظة تقويم : هنيئا للعاشقين وصالاً ..

في صباح السبت كانت آمنة تجلس بجوار سلوان وتقول : أمي تجلس كسدنة

المعبد والعياذ بالله .. أليس هذا من تحريم ما أحل الله؟؟ ضحكت وقالت : ربما

.. اصبري فالطواغيت إلى زوال !

ما هذه الحماسة التي أنت فيها .. تخشى عليكما ... وهي الوحيدة التي تتحمل

مسئوليتك الآن ..

قالت آمنة : لكنك عاقلة على غير عادة .. ما الذي حدث؟؟

ابتسمت : لا شيء .. أنا فقط متعبة قليلاً ..

قالت آمنة : انتظري انتظري قليلا ..لماذا خرجت يوم العقد من المسجد

..تقريبا نصف ساعة..

ضحكت وقالت : الله المستعان ..تركك تسلمين على الناس وتلقين التهاني

منهم ..ما المشكلة؟؟ قالت آمنة : لم تكن لتصبح مشكلة لو لم يقل أنس

نفس الشئ عن صاحبه..

ضحكت هذه المرة ضحكا متواصلا وهي تقول : لا ..لا تقولى أنك تظنين بي

ما ظننت ..لا إطلاقا ..على الإطلاق ..براء !! لا يمكننى أن أحب بين

هالين ذلك الحب ال...ال.. شخصا يشبهنى إلى الحد الذى أتنبأ معه ماذا

سيفعل لأننى سأفعل مثله.. براء يا آمنة هو نظيرى ...ذاك الخط الموازى لى

..نتشابه ..لكن لا نلتقى ولا نتقاطع..

ابتسمت آمنة : حساباتك فاشلة ..فعلا أنت وهو كائنات لا تستحق

الاهتمام..

ودخل رمضان...

فى أول لىالى الشهر كان جواد فى بىته للمرة الأولى من سنين...

قالآ غادة وهى تصنع طعام السحور وهو جالس أمامها على طاولة المطبخ :

أأعلم أن هذه لىلة رمضان الأولى التى تمضيها معنا منذ سبع سنين..

ابآسم وقال : سبعة فقط ياغادة ..ظنآته دهرآ بأكملة...

أذكر شىئا فقام مسرعا وذهب إلى حجرآه ..وبسرعة دق رقما معنا..

كان أحد المقاومين معه ممن يعمل آآر أمرآه مباشرة ..سلم عليه آم قال :

رمضان كريم يا فؤاد ..بالله عليك آنهى لى أمر أبو عمر هذا بسرعة ..آمة أمر

أريد الآأكد منه ..إن استطعت أريد صورة الرجل ..صورة واضحة لوجهه

..فهمآنى ..أمامك إلى آآر الشهر ..فلا آآعجل ..وعده الرجل خيرا ..عاد

إلى المطبخ وقال : أوقف لك الأبناء أم أنتظر بعد؟؟

ابتسمت وقالت : أيقظهم.. بعد صلاة الفجر جلس إلى حاسبه ... كانت

رسالة جديدة قد وصلت إليه من بريد مؤمن .. فاجأه لأن بريده الخاص لا

يعرفه إلا قلة على الأصابع.

السلام عليكم.. كيف حالك يا أبا محسن ؟ لعلك بخير .. مبارك عليك الشهر

..

كنت أريد منك الإسراع بأمر إخراج سيرين من هنا .. إيران ثم مصر كما قلت

لى فى المرة السابقة .. لقد أقنعتها أخيراً بالأمر

هاتف من بقى من أهلها فى مصر الذين تعرفهم كما أخبرنى والدها من قبل

.. وانظر الأمر ..

أعانك الله ورعاك .. حمزة رونسون ..

أطرق يفكر .. ما الذى يجعل حمزة يقول أن سيرين اقتنعت بالأمر على الرغم من أنه نفسه هو الذى لم يكن مقتنعا .. هو عندما رآها فى آخر مرة له منذ أشهر رأى أنها غربية .. جدها توفى .. وبالتالي لم يبق لها أحد فى أفغانستان ..

ما الذى يجعله يريد لها أن تعود .. إلى أرض ستكون بها أكثر غربة؟؟

أخذ يفكرى سرعه .. العمليات الجديدة فى الشيشان .. نوع العمليات العسكرية التى يتقنها جيدا ينتمى إلى رجل واحد .. عصام أو طلابه . وطلاب عصام لم يبق منهم إلا ثلاثة .. حمزة ونجيب وحمدى .. حمزة فى أفغانستان ..

نجيب عاد العام الماضى إلى قريته على الحدود الأفغانية الإيرانية .. وحمدى فى كرماخاى فداغستان مع المجموعة التى خرجت إليها ..

نقر نقرة سريعة على فيديو قد رآه منذ يومين فحسب .. ولم ينم منذ اليومين ..

الفيديو لمجاهدى الأنصار فى الشيشان .. ثمة رجل يأتى فى الثانية الأخيرة ..

..لثانية واحدة فحسب .. عينيه زرقاوتين .. كعيني ذئب .. لا .. لكنه يعرف

تفاصيل مقتل عصام جيدا ..الشاهد الوحيد على مقتل عصام كان حمزة

..وسياف ؟ هل دفنه سياف وحمزة فحسب ؟ كيف ؟

رفع هاتفه الثابت .. أحمد ..أتعرف من دفن عصام الشرقاوى ؟؟ قال أحمد :

نعم يا سيدى ..ثلاثة فحسب ممن كانوا معه ..ودفنوه فى أعلى قمة جبل هناك

..قيل يومها أنها وصيته ..لماذا تسأل يا سيدى..

قال : لا..لا شىء..

فتح درج مكتبه وتطلع إلى خاتم أزرق يرقد فيه ..أهداه عصام هذا الخاتم

..عليه نقش بالفارسيه الله ثقى ..ابتسم وقال : لو كان كما أفكر ..فما خاب

تفكيرى بك يوما يا عصام..

فى الجامعه كان براء يجلس مستندا إلى جدار الجامعه يتطلع إلى أحمد وهو يقول

: عبد الكريم لا يراعى حرمة الشهر ..يقول بأننا سنرهب ..كلنا..

قال براء : دعك منه ..شنشنة نعرفها من أخزم ..سأراك اليوم فى التراويح ؟؟

ابتسم أحمد وقال : وعدتك أنى سأصلى معكم الأسبوع الثانى من رمضان
كما قلت .. بالطبع سأتى .. ولكن بالله عليك تتذكر أن هناك سورة فى القرآن
اسمها قل هو الله أحد : .. لا .. هذه كلمة عبد الرحمن الفرفور .. رمضان شهر
واحد يا أحمد .. قل لى من يضمن أن نبقى لنشهده العام المقبل ..
بعد التراويح كان يقف مع أنس على عجلة قبل أن يغادر .. كان أنس يخبره
بشئ ما عن دروس المساجد القريبة .. فجأة قال براء وهو يتطلع إلى ماوراء
أنس الواقف أمامه : أوف .. الله المستعان .. وفى ثوان أدرك أنس ما كان يتأفف
منه وتعجب أيضا .. كان عمر .. صديق أنس وزميل براء .. سلم عليهما وقال
لبراء : ما ذا عن أمر هاتف زوج عمته .. المهندس عبد المنعم .. قلت لى أنك
ستأتى لى به اليوم لأنك لا تحفظه ..
ابتسم فى بساطة وقال : بالطبع .. هذا هو .. أملاه الرقم .. بعدها سلم عليهما
عمر وغادر ..

أول ماغادر قال أنس : لقد أملتته الرقم ناقصا .. ينقص رقما فى النهاية ..

ابتسم براء في خبث وقال : اتركه يكتشف الأمر ..قال أنس : وهل هذا سلوك

المسلم؟؟ لحظة واحدة... لماذا يريد الرقم منك؟؟

قال براء : ياسيدى كان في عقدك ..حسنا ..ويبدو أن الريح الطيبة أقلت

بسلوان في طريقه ..ولما عرف من هي .. لم يجد إلا أنا ليطلب منى رقم الهاتف

على اعتبار أنني سأحاسب على أنني طريقه الذى أتى منه ..وبصراحة أنا لا

أريد أن أكون طريقه.. سلوان لن ترضى به ..قلت أوفر عليها الزمن والمدة

والنقاش ..أرأيت كم أنظر إلى المصالح والمقاصد الشرعية ..وفي النهاية لو كان

نصيبها المقدر لها من عند رب العالمين سيكون .. كان الرقم خاطئا أم صحيحا

..

قال أنس : أنت كاذب..

ابتسم في دهشة : ولماذا؟؟

قال أنس : أنت تعرف لماذا ..في تلك الطبقات العميقة ..المظلمة ..المهجورة

من عقلك ..والتي أكره التقيب فيها تعرف تماما لماذا أنت كاذب..

رد براء : ستظل تقول وتنقب وتفلسف ..دعها سماوية تجرى على قدر ..لا

تفسدنها برأى منك منقوص..

ابتسم أنس : فوضت أمرى لله فيك...

كان يقرأ بقية ورده على عجلة قبل أن يذهب إلى الجامعه عندما قالت أمه :

براء ..تعال باكرا حتى تحضر لى ماتبقى من الورقة التى اعطيتها لك بالأمس

..ورقة المشتريات..

قال : حسنا يا أمى ولكنك قلت أنك لن تحتاجين ماتبقى من أشياء ..أم ان

هذا القول منسوخ؟؟

قالت : نسخ بمكالمه عمته بالأمس ..بعدها نمت كدجاجة يتيمة بعد التراويح

..سيأتون اليوم ..عمتك وزوجها وأبنائها ..ها ..اقتنعت بالنسخ؟؟

أوماً برأسه : طيب ..حسنا ..سأحاول ..لكن السوق يا أمى فى رمضان

يتعب سليم الأعصاب ..كأن الناس لا تأكل إلا فى رمضان..

تطلعت إليه : سأزاحم الناس أنا إذن؟؟

قال : لا والله .. كما تشائين..

قبل المغرب بدقائق قليلة هاتفه والده وقال : يا حبيبي المعتكف .. ما رأيك لو

جئت لترى أهلك بالبيت .. صلة رحم يامولانا .. أم أنك ستفطر في المسجد

كأمس؟؟

قال : لا يا أبي .. ثوان وآتيك..

فتحت له الباب سمية .. أخت سلوان الصغيرة .. في العاشرة من عمرها .. قالت

عندما رأته : أخيرا جئت .. نحن هنا منذ نصف ساعة ! ومدت نصف ساعة

كأنها أتت منذ دهر كامل..

قال : معذرة .. كنت آتى من المسجد أمام البيت .. والطريق

طوييييييييييييييييييييل ومزدحم جدا كما تعرفين..

عندما أذن المغرب وجد التمرة أمامه وسلوان تقول : هل ستفطر؟؟

قال : وأعطيك ثوابي .. أبدا..

قالت : من يسمعك يقول سأخذ ثواب أبي مسلم الخولاني .. كأن نصفه لم يذهب في لعن الجامعه والأمن..

قال : تلك عادة تركتها منذ رمضان الماضي .. وكل يرى الناس بعين طبعه ..
عامه هاتي التمرة .. أقل ما سيأتيك هو ثواب أبي مسلم .. بإذن الله ..
ابتسمت وقالت : أعلم هذا..

كانت ردة فعلها مختلفة .. لأول مرة يندهش مما قالته..

قبل العشاء بقليل كان على وشك النزول للصلاة .. كان يرتدى ساعته بعد
الوضوء عندما قال والده : تنزل متأخرا اليوم .. ماذا حدث؟؟

قال : لا شيء .. الشيخ أنس حفظه الله هو من سيصلي اليوم .. لذلك لن أجد
الزحام المعتاد .. الشيخ "آية الكرسي" وجمهوره..

قال عمه : بعيد المسجد الذي ستصلي فيه عن هنا؟؟

قال : لا..عشر دقائق فحسب ..أنا أصلى فيه لأجل أنس..

فى التراوىح سأله أنس : متى ستذهب إلى د. سيرين؟؟ قال : لن أذهب إليها
..سنفطر فى الحسين بإذن الله ..ستذهب معى بالطبع ..يوم الخميس بإذن الله

قال أنس : ستذهب إلى الحسين ..وتضحك كالمعتاد..

قال : لا والله...عاهدت نفسى أن لا أدخل إلى الضريح أبدا ..هذا لو دخلت

..يكفى ماحدث لى المرة الماضية ..تذكر ماحدث عندما ذهب هو وأنس إلى

الحسين ..أخبره بما كان من مهدى وماحدث ..فضحك أنس بشكل لافت

..وكذا فعل هو ..فماكان من امرأة عجوز كانت جالسة تطلب "حوائجها :

إلا أن ضربته هو وأنس بشئ من حصير كان معها وهى تقول : من لايجترم

أهل البيت لا يأتى إليه..

بعد التراوىح غادر على عجل وهو يقول لأنس : لا أريد أن أكون الغائب

الحاضر ..أريد أن أكون الحاضر الحاضر..

قال أنس : تقصد المغرور الحاضر .. أعانهم الله حقا..

قال : لا..أبي سيغضب منى حقا هذه المرة ..تأخرت عليهم فى الإفطار..

كان يداعب عمار توأم سمية ويسأله عن قرآنه ومدرسته عندما قال عمه :

صحيح يا براء ..ما أخبار عبد الكريم ..أستاذكم

ضحك وقال : أقسم بعزة رمضان أننا سنرسل ..كلنا سنرسل ..عامه ن فكر

فى دفع الكفارة بدلا عنه ..لو اعتبرنا هذا يمينا.. قال عمه : يحكون عنه عندنا

فى الكلية ..تخيل..

قال : لقد أمر أمر بن أبى الأصفر ..هم يجعلون لوعوده هذه أهمية

باهتمامهم..هو يعدنا منذ دخلت الكلية ..كوعود الشيطان يعدهم ويمنيهم

..كان يحدث عمه ووالده عندما قال خالد ابن السادسة عشر : براء براء

..تذكر الأنشودة التى أسمعنى إياها المرة الماضية ..راحل والشوق يهمنى قبلا..

ترنم بصوت منخفض : راحل والشوق يهيمى قبلا ...والدجى يرقب خطوى

واجلا

فأنا النور الذى يغرقه ...وأنا الجرح الذى ما اندملا

قال والده : ارفع صوتك ... لا نسمعك إلا فى المناسبات .. كعصام رحمة الله

عليه..

ابتسم وقال : وهذه الأنشودة كأنها لعصام رحمه الله أيضا..

وأنا كل جموح طامح ...مضرم الخطو على درب العلا

لم تزل ملئ فمى أنشودة ...صاغها الفجر وغناها الألى

تركت سلوان البرنامج الذى كانت تشاهده ووقفت على باب الغرفة ..تعلقت

عيناه بها لثوان ... لم تكن أول مرة ينظر إليها ..لكنها كانت أول مرة يترك

لنفسه لجامها .. كانت ثوان كأنها دهر..

جف ريقها .. لم يكن ينظر إليها هكذا أبدا .. ثمّة شيء ما نكسر في المتوازيات
عندما أدرك هو هذه الحقيقة أولا لم يستطع أن يكمل .. أخفض عينيه وأكمل
..

فانتشوا في كل أرض عبقا ... وانتضوا في كل ساح أملا

ونما الجيل على آثارهم .. مؤمنا مستمسكا مستبسلا

وأضوا أي جفن حائر ... مر في أفيائهم ما اكتحلا !!؟!

هكذا كانوا فلا كنا إذا .. ما اقتبسنا من سناهم شعلا

رحلة للمجد شقوا دربها ... كم تمنى المجد أن نرتحلا

فأنا النور الذي يغرقه ... وأنا الجرح الذي ما اندملا

عندما أكملها أمسك بإبهامه وهو يضغط على مفاصله .. ما الذي حدث !!؟

لا!

كان والده يسألها عن شيء ما عندما جلست أمامه مباشرة ..

رأها تتلاعب بأصابعها .. فابتسم .. ورأت هي ابتسامته تلك .. فرمقته في زجر
.. قام وهو يقول : نسيت شيئا مهما عندي في الجامعه يا عماء .. دقائق وأعود
.. ولم يعد..

بعد صلاة الفجر جلست لتقرأ .. لم تستطع التركيز .. لا .. براء؟! وهكذا .. بلا
أى مقدمات..

أما هو فقد كان أكثر حسما في الإدراك .. رأى الأمر مبررا تماما .. حتى بقوانينه
الشخصية .. لم يعد للحسابات الرياضية مرة أخرى .. كان يجمعه بها تشابها
قلبيا وروحيا .. وقربا .. وأما الشغف فهذا ما حدث بالأمس..

كون الأمر تأخر قليلا فلعله كان حاصلا ولجام قلبه العقلى لم يسلم أبدا
.. وأخيرا سلم بالأمس..

وعندما خرج بعد والده وعمه من المسجد في الصلاة ابتسم في نفسه وقال :
وداوني بالتي كانت هي الداء!

لم يحدثها أبدا طوال اليوم.. في صلاة التراويح قال أنس : وجهك .. ماذا به

؟؟

قال : ما به ؟

قال : فيه .. لا أدري .. لا يعرف لك صدقا..

ابتسم وقال : صدقت .. لا يعرف لي .. وعندما غادرت عمته والعائلة بعد

التراويح سلم عليهم بشكل عام .. ولم يخصها بحديث كما كانت العادة من قبل

.. بعدما عادت بيومين أدركت أن الأمر مبررا بالفعل .. أقدار الله جعلته على

غير موعد فحسب .. أو جعلت إدراكه على غير موعد .. اشتد في العزم بعدها

كعادته في كل رمضان..

في العشر الأواخر اعتكف مع أنس في نفس المسجد .. خرج من المسجد ليلا

للربع ساعة التي اشترطها في أول اعتكافه .. كان أنس يقول له : تعرف ماهو

شرط العم صلاح .. قراءة الجريدة .. يخرج كل صباح لقراءة الجريدة..

ابتسم وقال : ليس كشرطك يا أنيس .. تلك الخمس دقائق قبل السحور..

قال انس : استغفر الله .. بدأ مسلسل أحقاد خفية .. يارجل تلك من المباح
الذى نتقوى به على الطاعة..

ابتسم براء وقال : طيب .. أكرمك الله بمباحاتك..

التفت إليه أنس وقال : براء .. مابك؟؟

ضحك وقال : مابي .. قصصت شعري .. قال أنس : لأدرى..

التفت إلى ساعته وقال : انتهى الوقت .. سأدخل إلى المسجد..

وطلع فجر يوم العيد .. وهو يعزم في نفسه ما سيفعله ... بعدما خرج من صلاة

الفجر ترك والده يهنئ الناس بالعيد وأمسك بهاتفه .. هاتف اسما معينا..

وعندما أجابت على الهاتف قال : سلوان ،، كل عام وأنت بخير .. وسكت

قليلا ثم قال : أحبك

كانت صبيحة العيد.. وكان صوته وتهنئته مفاجئة.. وكلمة أحبك من صوته

دونا عن كل الدنيا بها شئ ما..

تقطر صدقا.. وعشقا.. قالت سلوان : ثم ماذا؟؟

قال : إيمان صادق ممتد لا ينقطع.. بك.. أنا أو من بك كالمرأة الوحيدة التي

تستطيع فعل هذا بي..

قاطعته : براء.. كفى.. قال في بسمة محب : ولماذا؟؟

قالت : لأنني سأذهب للصلاة الآن.. أكمل عندما أعود.. أريد أن أذهب

لصلاة العيد وبى بقية من خشوع.. صمتت قليلا ثم قالت : أتعلم بأنك

أفسدت كل ما فعلته في هذا الشهر بهذه الدقيقة..

قال : كأنك قلت شيئا..

قالت : لقد قلت.. قال : وقد سمعت.. لحظة واحدة قبل أن تذهبي للصلاة

.. في كتاب الله عز وجل وفي عرضه لسورة يوسف " امرأة العزيز تراود فتاها عن

نفسه قد شغفها حبا وإنا لنراها فى ضلال مبین " ولم تنكر الآية منطق النساء

..كانها بمثابة الإقرار بان حالة الحب تبرر بشكل جزئى كل مايفعله المحب

..أما الضلال المبین فهذا حكم على الصورة بأكملها ففحسب.. لاحكم على

الأفعال.. ثم مغيث الذى تشفع له رسول الله.. أتظنين أنه كان يكتفى فقط

بتبعتها.. ألا تظنين أنه ربما تعلق بخمارها.. بطرف ثوبها.. بل ربما بيدها..

قالت : أين تعلمت لى أعناق النصوص يابراء؟؟

قال : فى عينيك.. أغلقت عندها الهاتف..

بعد صلاة العيد قال أنس : وجهك.. وأنا أقسم على هذا.. به شئ ما..

ابتسم وقال : مثل ماذا؟؟

قال أنس : مثل... والله لا أدرى .. وجهك به خضوع ما.. وله ما..

قال : أو حب ما مثلا.. كل الخيارات متاحة أمامك..

قال أنس : وعزة نفسك أين تذهب؟؟ نعم أنت فاتنة إنما!

قال : لا تذهب .. عندها تكون هي نفسى .. وعزتها لى أقتن ..

كبر أنس وقال : منذ متى هذه الحالة ياكيوييد ؟؟ ضعنى فى الصورة فأنا أراك

يوميا منذ بداية الشهر ولم بيد عليك ابدا أنك ستكون بهذه الحال صبيحة

العيد ..

ابتسم وقال : وما قيمة الوقت ؟؟

ضحك أنس ضحكا متواصلا وقال : ذكرنى أن أرسل لمن فعلت بك هذا

إكليل ورد .. صدقا امرأة لا كالنساء .. وضع يده فى وجهه وقال : أنس .. ابق

بعيدا ..

قال أنس : وتغار ؟؟

قال : أغار عليك من عينى ومنى .. ومنك ومن زمانك والمكان ..

ولو انى خبتك فى عيونى .. إلى يوم القيامة ما كفانى ..

وضع والده يده على كتفه وكتف أنس وهو يقول : كل عام وأنتم بخير.. ها يا

أنس أين ستذهب الآن؟؟

قال أنس : سأذهب لأبي.. الطريق طويل..

ربت محمود على كتفه وقال : أعانك الله.. أبلغ والدك سلامي.. وقل له : إن

لكم إخوانا لا تعرفونهم أنتم أقرب إليهم من نفوسهم التي بين جنبيهم..

اوما أنس في حجل وقال : ياذن الله ياسيدى.. ياذن الله..

وبراء يغادر مع والده قال أنس في أذنه : أنقذك والدك منى.. والله سأعرفها

..ابتسم وقال : تعرفها..

تحمل اليوم كله مع والده وهو يمضى من مكان لمكان مع اقاربهم.. وأصدقاء

والده.. عندما خرجوا من بيت صديق لوالده قال والده في دهشة : براء.. ألا

تلاحظ أن الله عف لسانك اليوم ولم تتذمر.. من كان يحلم أن تدخل بيت

عمك على ولا يضيق خلقك كالمعتاد..

قال : الدنيا يا أبا.. تغير من لا يتغير..

فى المساء خرج مع أنس وبعض رفاقهم فى الجامعه فى رحلة نيلية... كان أنس

للتو قد عاد من زيارته لوالده.. زيارة يوم العيد

مال عليه أنس وقال : منذ متى كفرت بالحساب والمنطق الرياضى؟؟

ابتسم وقال : لأدرى.. لا أدرى متى.. لكننى أعلم الآن كفى به.. ماعاد بى

ذرة من إيمان..

قال أنس : بصدق أنا أتعجب.. ما الذى حدث.. كنت فتى... لست

بالطبع عاديا.. لكنك كنت إلى أيام ذلك المغرور الذى لا ترضيه امرأة..

قال : فى لحظة عجيبة لو وصفتها لن تطاوعنى الكلمات.. رأيتها.. عقلا

..وروحا.. وأنثى.. كانت فاتنة إلى حد لا يوصف.. كانت.. حسبك يا أنس

..التنظير لا يفيد فى مثل هذا الحال..

ضحك أنس نصف ضحكة وقال : أنت عاشق يا براء..

أوماً برأسه وقال : داء أفئدة الكرام.. لكنه لى ليس داء.. بل منحة ربانية
...نفحة إلهية.. سر سماوى.. إن شئت قل دواء أفئدة الكرام.. ضحك أنس

وقال : ما بين طرفة عين وانتباهتها.. يبدل الله من حال إلى حال

حالتك هذه خطرة.. فإن كنت ستذهب لشقيقتك وعمتك غدا كما قلت
فلا أنصحك أن تراها.. إن كان لك من حسنات فى رمضان فستفسدها..

قال : ألا تعلم أن ابن القيم نقل فى روضة المحبين جواز الوصل..

قال أنس : نعم نعم.. طالما وصلت لهذه المرحلة فلن أجادلك.. الجدل مع

مثلك حرام ! تلوى أعناق النصوص يابراء؟؟! سبحان الله..

قال وتنهد طويلا : لا تعلم ما بي.. كأنه فالق كبدى.. ولا يكلف الله نفسا

إلا وسعها...

قال جواد وهو يتطلع إلى الفتى الواقف أمامه بجلد عجيب : كما تقول

..فالرجل هو من اريد.. مازال حيا!

أوماً فؤاد وقال : نعم ياسيدى.. مازال حيا.. هم فى جيش الأنصار يطلقون عليه " مهاجر " فحسب.. أبو عمر المهاجر.. لكن اسم مهاجر دارج أكثر .. فى منتصف الأربعينيات كما قلت ياسيدى.. ملامحه.. قال جواد مقاطعا :
أعرفها.. أعرفها.. كيف ذهب إذن؟؟

قال : رجلنا فى أفغانستان.. الذى تركته يتابع تنسيق الأسلحة والعمليات العسكرية.. سجاد.. تابع الأمر واخبرنى أن اثنين فقط من القيادة هما اللذان يعرفان انه لم يمت.. ولهذا عندما قبضوا على الرجل الذى أطلق الرصاص عليه لم يقتله أبو يوسف حمزة.. مع أنه أقرب الناس إليه.. الرجل قتل بالفعل لكن بتهمة الخيانة ومساعدة الأعداء..

أرسلت بعد سجاد على أكبر الباكستانى.. أخبرنى أنه نقل رجلا لا يعرفه.. لا يحمل سوى كلاشن وحقيية به أوراق وكتب كما رأى عندما فتحها.. أوصله إلى حدود الجمهوريات السوفيتية.. داغستان بالتحديد.. واستقبله هناك حمدى عبد المؤمن.. تعرفه بالطبع يا سيدى.. أوماً جواد : نعم..

هم بالإكمال فقال : كفى يافؤاد.. أعتقد انى عرفت الباقي..

فكر فى سرعه.. لو كان عصام ميتا بالفعل لما استمر القادة على صلتهم به
والعلاقة العسكرية الفريدة من نوعها التى ربطت بينهما.. فعصام كان صاحب
فكرة اللعب على جميع الأوتار.. خاصة فيما يتعلق بالمدد العسكرى ونقل
الخبرات.. ولم يكن الرضا واضحا على بقية القادة..

بدا له الأمر منطقيًا فقال : فؤاد.. هاتف سجاد وعلى أكبر.. سأذهب

لباكستان بعد العيد مباشرة..

تطلع إلى الخاتم بيديه.. وتألّق النقش الفارسي تحت الفص : الله ثقى.. فابتسم

وقال : لطالما كان ثقتك..

عندما عاد إلى منزله استقبله هادى ولده على الباب.. كان وجهه به خطب

ما.. ربت على كتفه وقال : ما يضايقك يوم العيد يا شيخ هادى؟؟

قال هادى : السيد مهدي.. لقد استقال من البرلمان العراقى..

تتطلع إليه وقال : ربما هو لن يستطيع المتابعه هكذا.. هو فى مشهد منذ عام
تقريباً.. وربما يجد نفسه مقصراً..

قال هادى : لا يا أبى.. لقد استقال وعلل الإستقاله بعدم الجدوى... عدم
جدوى مايفعله فى ظل الإحتلال والتدخلات الخارجية.. سكت جواد عند
هذه الكلمة طويلاً.. فكر : لقد تمرد الرجل إذن...

ربت على خد هادى وقال : كل منا له حساباته الخاصة.. وما يدريك.. لعل
هذا أفضل له وللعراق..

قال هادى : لن أهتم إذن بأخبار برلمان لا يكون هو عضواً فيه... ضحك
جواد وقال : كما تشاء..

أغلق على نفسه باب المكتب.. أخرج ورقاً قديماً من درج مكتبه.. وريقة
واحدة إن صح التعبير.. بها عنوان ورقم هاتف.. استخدم هذا العنوان مرة
واحدة منذ أربعة أعوام تقريباً.. عندما طلب منه عصام على هامش لقائهما أن

يوصل الرصاصة الفضية التي أعطاه إياها مع كتاب " المعالم " إلى ذلك العنوان

..أعطاه يومها ورقة كتب عليها " على طريق إليك معلمه.. "

ضغط أزرار الهاتف في بطنه.. كان الصوت الآتي عميقا وهادئا.. يشبه صوت

عصام قليلا..

قال في هدوء : السلام عليكم.. كيف حالك ؟ المهندس محمود إن لم أخطئ

رد محمود : نعم..

قال : أنت لن تعرفني.. أنا من عند..... صمت طويلا ثم قال : من

عند مهاجر..

استعاد محمود ذكرى أحد الأيام الشتوية الباردة جدا.. وعصام يكتب محاضرة

سريعة سيلقيها غدا وختم المحاضرة بإمضاء:

مهاجر...

قال محمود : رحمه الله..

قال : أريد لقائك ياسيدى.. بعد أسبوعين بالضبط..

رد محمود : أين؟؟

قال : فى بيتك.. وإن لم أثقل عليك.. جهز غرفة خالية فى بيتك.. لفتاة فى

الرابعة عشر.. اسمها سيرين..

لم يفق محمود من الدهشة مباشرة لكنه قال : أنتظر..

أطرق برأسه يفكر.. أهى ابنته.. بنت عصام.. بكى.. بكى عند هذه النقطة

..تمنى لو كانت ابنته فعلا.. فيكفيه أن يتلمس يدها.. وجهها.. ويعرف أنها

ابنة شقيق روحه..

دخلت عليه منال التى قالت : محمود.. وجهك مابه؟؟

أسند رأسه على كتفها وقال : تعبت .. تعبت فحسب..

فى الصبأح البأكر كان برأء ىرتدى ثىأبه لىذهب مع أنس الذى كان ذأهبأ

بطفىعة الحال إلى زوآته.. قألت وآلته : أتعرف.. أشتقت إلى سلوان.. لو

وأفق وآلدهأ هأتمأ معك.. لتقضى بقىة العىد معنا..

قال وهو ىخفى اضطرام النار بقلبه : أفعل ىأ أمى..

قال وآلده : بشىنة ستأتى معك بالطلع هى وبنىها.. لا تثقل علفها بمزأحك

..قال : حسنا ىأ أبى..

قال وآلده : وسلوان.. قال : مآبها سلوان؟؟

قال : إن آءأت لا تزعآها ككل مرة.. أمنحها شىئا من رآمتك هذه التى

أرأها الىوم.. قال : حسنا..

كانت الشمس ساطعة على آىر العادة فى ذلك الآبل الأخضر.. العادة أن

الأآصان تجب الشمس عن الظهور.. لكنها كانت آلىة وآضحة فى هذا

الىوم..

وضع كوب الماء بيده على المكتب القديم بجوار الفراش القديم.. التقط منظاره

الطبي وكتب:

ما العيد للأمة إن كان يأتي وهي ذليلة.. ضعيفة.. عاجزة..

بكفاء.. ليست من معنى الأمة في شيء إلا بلفظ الاسم فقط؟؟

العيد لأمة كهذه ضوء على الطريق.. ذاك لأنه شرع في بداية الدولة الإسلامية

في المدينة.. وللمتأمل أن يرى..

الماديات المجردة.. رجل في الثالثة والخمسين.. وبلد به ثارات قديمة مهددة في

أى لحظة بالظهور.. وغرباء.. تركوا ديارهم وأموالهم.. غرباء فقراء.. وعدو بيده

المال والسلطة.. عدو متربص.. ثم يشرع العيد؟؟

نعم.. لأنه دين الفطرة.. من من المجاهدين لم يعرف لحظة من الصفاء في ظل

الحرب الضروس..

من منهم لم تمر عليه لحظة من النوم والسكينة والطائرات تهدر فوق رأسه..

من منهم لم يلمح ابتسامة أخيه قبل أن تذهب الروح لخالقها..

العيد للأمة.. بسمة شهيد.. ولحظة سكينه.. ونظرة صفاء.. لكي نستمر

..ونجاهد.. ونبقى..

مهاجر..

طرق عليه الباب حمدى. قام إليه وقال : ادخل.. مابك تقف على الباب؟؟

أطرق حمدى برأسه وقال : رأيتك مشغولا فقلت لا أضايقك.. أطرق الباب

اولا أفضل..

ربت على كتفه وقال : لا بأس.. قال حمدى : لو كنت أحضرت ابنتك يا

سيدى.. بعض المجاهدين هنا معهم أهليهم.. قال مقاطعا : والبعض فقدوا

اهليهم أيضا.. ابنتى ربت لها أمورها لتعود إلى مصر.. ستكون أفضل هناك..

قال حمدى : بالبعد عن أرض الجهاد..

ابتسم وقال : رائع.. مازلت كما أنت.. أتظن أن أهلنا هناك ليسوا على
جهاد..

سيف الأمن المسلط على رقابهم في كل لحظة.. وهم يقيمون الجماعات
ويدعمون المجاهدين.. ويذكرون الله كثيرا.. ويعيدون في الناس صورة المجاهد
العابد.. أتظن أن أولئك ليسوا مجاهدين؟؟

نحن نبذل دمائنا هنا.. دمائنا... لكنهم هناك يبذلون صبرهم.. وأرواحهم
..وعذابهم في سبيل الله.. ونياتهم.. وأمواهم.. وأعمارهم تفنى في سجون
الطواغيت.. قل لي : عشرون عاما في سجن طاغوت.. أم قذيفة من قذائف
الروس تأتي وسريعا ينتهي الأمر؟؟

وما وصلنا إلى هنا.. إلا بصبر أولئك.. بدعاء أولئك.. ابنتي.. ما يدريني أن
أحيا لها.. مازالت صغيرة.. أريدها أن تعرف هذا وذاك.. جهاد هنا.. وجهاد
هناك.. فهمتي؟

ابتسم حمدي وقال : فهمت..

اطلع إلى صورة أرسلها له حمزة لسيرين وهي تجلس على صخرة كبيرة وتبتسم

له ابتسامتها الرقيقة المميزة... قبل الصورة في اشتياق وحب بالغين.. في ظهر

الصورة كتبت هي : أبي.. لقد حفظت القرآن كاملاً.. مارأيك بي؟؟

سيرين..

ماكان سيتزوج أبدا.. وما كان خاطر الزواج بذهنه حتى توفي إبراهيم..المصرى

الوحيد الذى كان معه فى نفس المكان ونفس الكتبية.. وكان من القلائل

الذين تزوجوا وأتوا بزواجهم.. كانت أسماء بحق زوجة مجاهد.. صبرت معه

..وتحملت.. وعانت.. وبذلت.. وعندما توفي إبراهيم.. بقيت فى أرض غريبة

..لاهى تستطيع العودة ولا هى تستطيع البقاء..

والأفغان بهم حدة فى الطبع لم تكن تلك الناعمة ابنة العائلة أن تتحملها لو

تزوجت أفغانيا ممن طلبوها للزواج.. قال له شيخه موسى بعدما أتم مراجعة

أحد المتون عليه : عصام.. لماذا لا تتزوج؟؟

قال : لأريد.. قال الشيخ : ترغب عن سنة رسول الله؟؟

قال : ليس هذا.. لكن بقلبي امرأة.. لها منى عهد.. وأنا أكره أن أحونه..

قال الشيخ : ومن قال أنك تخونه.. تخونه لو نسيت.. لو غفلت.. لو سلوت

عنها.. مع ان هذا طبع الأيام والسنين .. يابني.. غريبة في ارض لاتعرفها

..واناس لم تألفهم.. كحالك..

تزوج.. وما يدريك لعلك تجد سلوانا..

استنخار أولا.. ثم خطبها.. ووافقت.. بعد عقدها مباشرة قالت له : إن أذنت

لى.. حديث أريدك أن تسمعه..

قال : تفضلى.. قالت : إبراهيم.. رحمة الله عليه.. كان معك في الجامعه

..ولطالما أخبرني عن تلك.. تلك.. أنت تعرف من أعنى.. قال : نعم..

قالت : وأنا لم اكن لأتزوج بعد إبراهيم كما لم يكن لك أن تتزوج.. لكنها

أقدار الله التي تقلبنا على الخير وإلى الخير.. ما أردت قوله : لا تشعر بالذنب

إن رأيتني أنظرها في عينيك.. أنا رضيت وبقمت أنت.. ارض ايضا..

كان يعرف أنها يوم تزوجته لم تكن تحبه.. كانت تحب إبراهيم.. بصدق..

ولطالما أخطأت في أيامهما الأولى فنادته بإبراهيم.. كان يتسم عندها ويقول

: سأغير اسمي بإذن الله..

لكنها مع الوقت أحبته.. ربما أكثر بكثير مما أحبت إبراهيم.. وكان يدرك هذا

فما عاد يكتب إلى سيرين كالسابق.. رسائل المفكرات الصغيرة التي كانت

تراها وتقرأها أسماء.. كان به رقة طبع تمنعه من أن يؤذى صديقا له أو رفيقا

.. ما بالك بزواج

يوم أن جاءت سيرين إلى الدنيا قال لها : سمها ماشئت..

ابتسمت في وهن وقالت : سيرين..

قال: لا.. لا تسميها إذن..

قالت : بل سيرين.. أنا التي أريد أن أسميها.. أسميها على اسم امرأة نقية

..رائقة.. جميلة.. جعلت رجلا مثلك يسكن إليها

اشاح بوجهه فقالت : لاتغضب.. قلت لك من البداية.. انا رضيت

..تلمست وجهه وقالت : لاتقل لى أنك لاتحب هذا الاسم.. وكان لها ما

أرادت.. كان بها وهن وضعف جسدى منعها أن تكمل رضاع سيرين

فأرضعتها ابنة شيخه موسى..

قالت له يومها : لقد رضعت ابنتك لبان الأفغان.. دمك ولبن الأفغان.. ستر

الله علينا..

سألته يوما : عصام عصام.. سأكون كأولئك النسوة الغيبات التى تقول كل

واحدة منهن لزوجها وعينيها تنغلقان وتفتحان فى غباء ملحوظ: أتجنى؟؟

قبل رأسها وقال : وقد أتتك الإجابة..

قالت : لقد وصلت كاملة.. علم أنها فهمت مايعنيه.. يجبها نعم.. لكنه

يحترمها أكثر.. فالحب طبقات بعضها دون بعض.. وفى قلب الرجل دائما

مكان أرحب لأخرى جديدة.. هذا مافهمته من منطقته.. تلمس ساعته

..لقد أحضرتها له من محل باكستانى.. تلمس الساعة وقال : رحمك الله

ياحبيبة.. رحمك الله.. توفيت منذ ثلاثة أعوام.. في قصف على أحد معاقل
الحركة في الجبال.. تأثرت بجراح القصف وتوفيت بعده بأيام.. يوم وفاتها أحس
أنه فقد أمه من جديد.. عاد غريبا بعيدا في أرض بعيدة.. ولو كانت الدنيا
كلها حوله.. كانت أنسه من الدنيا.. سكينته.. لكن سكنه كانت امرأة
أخرى..

امرأة يتمثل فيها قول القائل: حوائج لم تقض.. "

راحل والشوق يهمني قبلا.. والدجى يرمق خطوى وجلا..

كان خالد يسمع الأنشودة على جهازه عندما دخلت سلوان وقالت: خالد

..رأسى توجعنى.. على الصباح هذه الأنشودة

قال خالد : ظننتك تحبينه.. أقصد تحبن أناشيد " أبوعلى.. "

هزت رأسها وقالت : نعم أحب أناشيده.. لكن ليس في الصباح.. قال خالد

: سلوان.. أنت تحبينه.. اصمتي إذن..

قالت : لحظة لحظة.. من أحب؟؟

ضحك وقال : النشيد.. مابك؟؟

ابتسمت عندما عادت إلى غرفتها وهي تقول : يكاد المريب أن يقول خذوني

..

رن الهاتف.. كانت بثينة.. قالت في عجل : سلوان.. أ لن نخرج كما اتفقنا

..هيا. أنتظرك عند باب البيت.. خمسة دقائق لا تتأخرى..

قالت والدتها : مابك؟؟ وجهك متكدر.. قالت : لا..بثينة كنت سأخرج

معها أنا وأولادها.. وكنت سأخذ سمية معي.. ها.. لا تريدان ان اذهب

صحيح؟؟

قالت والدتها في دهشة : ولماذا؟؟ أنا أريدك أن تذهبي..

قالت : حسنا.. قولي لسمية ترتدي ملابسها إذن..

طرقت الباب وهي تدعو في سرها أن لايفتح هو الباب.. ظنت ان دعائها

استجيب عندما فتح خالد الباب : ابتسم وقال : تفضلى.. تنتظرك منذ

الصباح.. رأت براء جالسا مطرقا برأسه على الأريكة.. ضمته سمية وهي تقول

:أين عيدتي؟؟

قبلها وقال : هاهى عيدتك..

قالت بثينة : براء.. هيا..

قال : سأبقى مع خالد..

قالت : نعم؟؟ خالد سيذهب إلى عماته اليوم.. انا أريد أن أخرج معك

..قال: حسنا.. عصام.. ليلي.. هيا..

هو لا يستطيع أن تكون فى مكان ولا يتطلع إليها.. أدرك مدى صدق أنس

عندما قال : لاتذهب وانت هكذا .. تذكر كلمة عصام التي قالتها سيرين

"بقلبي حديث يناقض الآيات"

وضع يده على قلبه.. لا أستطيع الأمر..,

في مدينة الألعاب قالت بثينة : سأذهب لأرى ما فعلت سمية بأبنائي.. وقامت
من المنتصف بينهما..

عندها قالت : براء.. نحن في الشارع.. اجعل لنقابي ولحيتك حرمة..

ضحك وقال : فظيع أمرك.. كنت قد أبرمت العهد لتوى مع نفسى أننى لن
أنطق ببنت أو ابنة عمه شفة.. لكنك أنت من أفسدت الأمر..

ماذا فعلت بعد الصلاة؟؟

قالت : لاشئ.. زرت صديقاتى وعدت إلى البيت العصر تقريبا.. فى المساء
خرجت أنا وإخوتى..

قال : عندما تخونك فطنتك.. يصبح الأمر صعبا..

قالت : فطنتى لم تخنى.. أنا التى أخشى أن تخون دينك..

قال : أما الحرام فالملمات دونه... والأصل فى الأشياء الإباحه..

قالت : براء.. اصمت..

قال : وستنصتين لكل الحديث.. حديث قلبي..

قالت : سأحاول.. وصمت وسكتت.. قالت بثينة عندما رأتهما : سبحان الله

..أول مرة في حياتي أراكما لاتتناحران.. كالمعتاد.. قال : لقد رفعت ليلة

القدر بالمشاحنة.. ورأيت أن أترك العيد يمر بهدوء..

ابتسمت بثينة وقالت : بارك الله فيك.. قلت لك من قبل.. الإلتزام الخلقى

أهم كثيرا من أى شئ.. ضحك وقال : حسنا يا أ. بثينة.. شئ آخر تأمريني

به ؟

قالت : لا شئ.. فقط ابق هكذا.. نجح في تجنب اللقاء بقية اليوم.. ظل بعيدا

..نفسه تنازعه ويقول : ما هكذا عهدتك يانفس.. أماهى فقد كانت تدير

وجهها كل ما رأته في جهة.. كبر في وعيها بشدة عصام وسيرين.. الخشية

..والخوف.. والمراقبة.. أى معنى للتقوى إن لم تكن هنا.. أن يكون الوصل

لديك كالماء البارد في شدة العطش وتخشى .. هذه محارم الله لا آتيها.. في المغرب جلس مقابله في طريق الذهاب إلى القاهرة وجلست بثينة بجوارها...
قالت بثينة : براء.. ورد الرابطة.. اقرأه واجعلنا نؤمن..

تطلع إليها.. لم تكن نظرة الرجل إلى المرأة عندها... في تلك اللحظة.. بل كانت نظرة روح تعرف قرينها.. قال في هدوء : اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب اجتمعت على طاعتك وتوحدت على دعوتك وتعاهدت على نصره شريعتك فوثق اللهم رابطتها وأدم ودها واهدها سبلها واملئها بنورك الذي لا يخبو وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة في سبيلك إنك نعم المولى ونعم النصير.. وفي نفسه قال : يارب.. تعبت..

لم يكن يتخيل أن الأمر هكذا.. بهذه الصعوبة.. على الأقل بالنسبة له.. فكر قليلا. وما المشكلة لو سلمت الأمر.. لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. وهذا ليس..

قاطعہ ضمیرہ : بل وسعک.. أين كل أطروحات الجهاد إذن.. تبخرت عندما

مسك السلاح لأول مرة؟؟

أما هي فقد كانت تفكر.. يعز عليها أن تجمعها به كل الذكريات المؤمنة

..القرآن وهما صغار.. تسابقهما في قصص الأنبياء.. والسيرة.. الأفكار

العظيمة للنهضة. ثم تجمعهما نظرة خائنة أو كلمة لا ترضى ربهما.. لا

..حسنت الأمر في نفسها.. لن يحدث هذا.. ما حدث بالأمس في الصباح

كان انفراجه القدر المكتوم.. أما وقد كشف الغطاء فلم الغليان إذن؟؟ عندما

دخل على والده مبتسما بصعوبة بالغة رأى تلك النظرة في عين والده.. النظرة

الكاشفة التي تعرى أسرار من تنظر إليه.. نظر إليه ثم نظر إلى سلوان.. لثوان

..ثم ابتسم وضمها إليه.. وهو يهنئها بالعيد..

دخل إلى غرفته وأخرج كل الكتب من المكتبة وبدأ بترتيبها.. ولم يخرج إلا

لصلاة الفجر..

بعد الصلاة أمسك والده بيده وهو يخرج قائلاً : براء.. انتظر.. أريدك..

جلسا على سور المسجد القصير كالمعتاد.. قال والده : مابك؟؟

قال : لا.. قاطعه والده : براء.. مابك؟؟

قال : أحبها يا أبي... هذا مابي.. أ{يدها..

قال والده : حسبك.. هذا الذى أردته.. لاتزد كلاما يتعب قلبى عليك.. هيا

.. اذهب إلى البيت.. أو اهرب منه إن شئت.. لكن أريدك فى التاسعه بالضبط

.. سنذهب إلى الإسكندريه..

ابتسم وقال : حقا..

قال والده : أأراك هكذا وأسكت.. بعينيك هم يثقل الجبال.. أنا أأثم شرعا إن

تركتك هكذا..

قال : وامى؟؟

قال : أمك هي التي لم تدعني أنام بالأمس.. هي لاتفصح عن مابداخلها بأى

شكل.. لا وجهها ولاعينيها.. لكنها قالت لى بالأمس : أدرك براء.. على

وشك الغرق.. لكننى أتعجب : كنت طبيعيا جدا إلى وقت قريب..

قال : لم أدرك الأمر إلا منذ مدة قريبة.. ربت والده على كتفه وقال : رضى

الله عنك وأرضاك..

عندما عاد منتصرا هو ووالده فى المساء قال له والده : لاتخبر سلوان بالأمر

..اولدها يخبرها غدا..

ابتسم وقال : كيف !؟؟

بعدها بأسبوع تماما.. وفى ظل تحكم أنس المتواصل وتلاعب بقية أصدقائه به

واتهامه باللعب من وراء حجاب كان العقد

قال أنس له قبلها بيوم : إنما السؤال كيف وافق عمك على العقد سريعا هكذا

؟؟

قال : حضرت أبي وعمتي عليه.. وتكفلت سلوان بالباقي.. أصلاً هناك سؤال

:ماقيمة الخطبة لو كنت أعرف لون فستان العيد الذي ارتدته وهي في الصف

الثالث الإبتدائي.. هذا محض هزء بالبشر..

كانت جميلة.. كاجمل امرأة في الدنيا.. وكانت قريبة جدا يومها.. لكن الأهم

في نظره أنها كانت زوجه.. يجمعهما ميثاق غليظ متين موصول بالسماء

..موصول " بكلمة الله.. " كانت أول كلمة قالتها بعد المباركة..

براء.. أكمل حديث العيد الذي قطعته..

مهدى..مهدى..

التفت إلى فاطمة وقال : تريدین شیئا..

قالت.. لقد وصلت إلى غلاف الكتاب ومازلت تقرأ فيه..

قال : لا بأس.. ربما مللت قليلا.. سأخرج إلى الحرم.. ربما أعود في المساء..

دخل حرم الإمام الرضا.. قبل عتبة الضريح كالمعتاد.. وجلس مستندا إلى احد

أعمدة المسجد.. أخذ يفكر في عواقب ما سيفعله .. سينشر الكتاب الذى

يحتفظ بمسودته منذ سنين.. حتى لا تغرق السفينة..

عن نظرية ولاية الفقيه.. ما الذى تحتاجه لكى تبقى.. عن الشورى وإلزامها..

أهدى الكتاب منذ سنين إلى: سيدى الإمام الحسين عليه السلام.. إلى واضع

اللبنة الأولى فى بناء الثورة الإسلامية العظيم

وإلى الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.. فجر الثارات وناصر الثوار

..

حتى لا تغرق السفينة.. كانت مراجعة حقيقية وصادقة لكل أفكاره التى يؤمن

بها.. منها ما أبقاه ومنها ما تركه غير مأسوف عليه.. كان يعلم أن هذا

الكتاب لن يرضى أحدا إلا المنصف فحسب.. فكر فى ان مبادئه هذه تستحق

أن يدفع ثمنها.. كما دفع السابقون ثمنها من قبل.. ما الفائدة من نسبته لآل

البيت إن لم يكن على طريقهم.. إما مسموم أو مقتول.. يا الله.. ! فكر أنه

وصل إلى مرحلة يجب أن يكون عاقلا ومؤمننا بما يكفي لترك وجله جانبا.. ما الذي سيحدث..

تذكر عصام وهو يقول : لصاحب الظلال " إن كلماتنا تظل أعراسا من شموع .. هامة لا روح فيها.. حتى إذا متنا من اجلها دبت فيها الحياة وعاشت بين الأحياء " خرج من الحرم وهاتف صديق له في بريطانيا..

لم يقل إلا كلمات مقتضبة تماما.. أحمد.. سأنشر الكتاب..

وقامت الدنيا ولم تقعد.. كان من المكانة العلمية بحيث لا يزوج به في السجون كالمعتاد في مثل هذه الحالات..

وكان من المكانة الفكرية المجتمعية بين الناس بحيث لا يتهم بالخيانة مثلا ويصدق الناس التهمة..

كان لعائلته ذاك العمق بحيث لا تهتز صورتهم من إعلام كاذب..

قال محمود يومها على الإفطار لبراء : ألم أقل لك .. عقله يحركه .. لا الخرافات
القديمة ..

أوماً براء : نعم .. أنا أشهد أنه صاحب عقل لا يوصف .. عقل بارع يعرف
كيف يتحرك .. كيف يبدع ..

قال محمود : ستر الله عليه .. أنا أخشى عليه من اى وقت مضى ..
ابتسم براء وقال : لماذا؟؟

قال : مالا تعرفه أن مهدي لا يتراجع .. قد يتعايش مع الوضع .. لكنه يموت
من أجل فكرة يؤمن بها .. من أجل يقين بين عينيه ..

قال : أبي .. ألم يهاتفك من مشهد؟؟

قال والده : نعم .. تجد هاتفه فى المفكرة .. تريده؟؟

قال : نعم ..

صلى الضحى وهاتفه.. فاجأ مهدي تماما اتصال براء.. ابتسم في ود وقال :

كيف حالك يا بنى؟؟ خيرا؟

قال : الحمد لله.. أنا فقط أقول لك : كلمات الشمع تحتاج روحا لتحيا

..اثبت يا سيدى على الحق..

قال مهدي : شكرا يا بنى.. لكن ما الذى يجعل الحق حقا؟؟

قال براء : إيماننا.. كلمة الصحابي الذى قال " أصبحت مؤمنا حقا " وكأنى

أرى عرش ربي بارزا.. يقينه هو الذى جعل الحق حقا.. نحن نحاسب على

نياتنا.. أليس كذلك؟

قال مهدي : عرفت فالزم..

بعد المكالمه دخل عليه ابنه مرتضى.. سأله : لم أنت مبتسم هكذا؟؟ ما الذى

حدث للسيد الجليل؟؟

قال : عرفت فتى صادقا.. يشبهك..

ابتسم مرتضى وقال : يشبهنى.. أنا؟؟

قال : يشبه يقينك.. هيا.. سأذهب إلى الحوزة.. ستاتى معى..

قال مرتضى : سأتبعك .. لى رسم سأهيه وآتيك..

ركب السيارة.. سمى باسم الرحمن.. حرك السيارة .. ولم يجد بها اختلافا كثيرا

..تذكر كلمة براء" عرائس الشمع تحتاج روحا لتحيا.. " ابتسم وتذكر عصام

وهو يقرأ معجبا : أنتم وأنا..

والسيف تاريخ الرجال.. ويوم موتى تحت حد السيف أو فوق الصليب الملتقى

..

لا.. كل يوم تحت عسف الظلم فى المدن الذليلة ملتقى..

فالصبح آت.. والرصاص آذان فجر النحر فى زمن الضياع..

يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع!

فقد السيطرة على فرامل السيارة.. كان واضحا جدا أن ثمة من تلاعب له بها
..خاصة أنها سيارة قديمة..

استجمع الشهادة في عقله بسرعه.. هو يجرح الآن.. روحه تخرج من جسده
..الدماغ تسيل من غالب أجزاءه.. عقله يغيب شيئا فشيئا.. كذا الرؤية
..تجمعت صور أحبائه في ذهنه.. والده.. باقر.. مجتبي.. مرتضى.. فاطمة
..زينب.. خديجة.. سجاد.. سلمان.. عصام.. محمود.. منعم.. سيرين
..براء.. ستحيا كلماته.. ستحيا..

كان براء عند سلوان في المساء.. عندما دخل عمه متكديرا.. سأله مابك؟؟
قال في صوت يكاد يذهب : مهدي.. لقد مات.. مات اليوم في الصباح..

قال براء : كيف؟؟ لقد هاتفته في الصباح؟

قلب منعم كفيه في ذهول وقال : لأدرى.....

وقف وقال لسلوان : نخرج قليلا.. ربتت على يده وقالت : لا بأس..

وعلى شاطئ البحر بكى.. لم يشعر إلا وهو يبكى.. أمسكت بكفه وهى

تقول براء.. مابك؟؟

قال : لقد مات.. ولا أظن أن الحادث طبيعيا كما قال عمى.. لقد نفت

الروح بكلماته.. مات.. دمعت عيناه وهو يقول : سأذهب يوما ما.. روحى

ستخرج يوما ما.. لا أريدها أن تخرج على فراشى.. أريدها أن تخرج لمبدأ

..لقضية.. لرسالة خالدة.. لحق أعتقده.. أريدها أن تذهب كما ذهبت كل

أرواحهم من قبل.. ضمته فى حرص كأنه حرص أم حانية وقالت : ستفعل

..ستفعل يوما ما.. أنت على الطريق ولا أظنك تتبع السبل.. قال : ياااارب

..

بعدها بيومين كان جواد فى القاهرة.. بعد أسبوعين من العيد كما وعد محمود

..وكانت معه سيرين.. كانت مبهورة من الرحلة ومشقتها.. لقد رتب والدها

كل شئ.. جواز سفر لها من باكستان.. أوراق المدرسة التى كانت بها.. كل

شئ..

وهى تودع حمزة منذ أسبوع تقريبا قالت له : هل سترى أبي..

قال : نعم..

قالت : قبل لى عيناه إذن.. وقل له سأكون مجاهدتك التى تتمنى.. حسنا؟؟

قال حمزة : حسنا..

هاتف محمود وقال : نحن فى القاهرة.. على باب منزلك..

قال براء : من يا أبى . . رد والده : أخبرك.. الرجل سيصعد الآن..

كان بصحبته قمر صغير.. ذى عينين سوداوين.. لكن وجهها كله وجه عصام

..ترتدى خمارا أسود وعباءة سوداء..

تطلع إليها براء فى دهشة.. ثم إلى الرجل الأربعينى معها.. ثم تطلع إلى والده..

قال والده : ابنة عمك.. ابنة عصام..

ضمه الرجل الأربعينى إليه وقال : انت إذا الفتى الذى كبر.. وأهداك المعالم..

قال والده : السيد عمران.. هو الذى أوصلها إلى هنا..

وقف براء مبهورا بها وهو يقول : ألا تتحدثين؟؟

قالت بلغة عربية منغمة بلكنة فارسية : نعم.. أتحدث.. أنا سيرين.. سيرين

عصام.. ضميتها والدته طويلا.. وكثيرا جدا أيضا.. أما براء فقد ظل منبها

..فقط.. قال جواد : معذرة يا دكتور.. أسمح لي بدقائق.. وتترك سيرينا هنا

..مع خالتها..

قال جواد في حسم : هذه الرسالة منه.. لم يمت كما قيل منذ عامين.. اختار

رحلة أخرى في بلد آخر.....

بودى لو بقيت.. لكن رحلتى طويلة..

قال براء : أنرتنا ياسيدى.. ربت الرجل على كتفه وقال : بل أهل النور أنتم

..هل أرى سيرينا مرة أخرى..

جاءت سيرين.. أمسك بكتفيها الصغيرتين.. صارت فى الرابعة عشر ومازالت
صغيرة كما هى .. قال بحب : مجاهدتى الصغيرة.. حافظى على وعد أبىك
..حسنا..

وهو ينزل من بيت محمود أحس أنه فعل أرجى عمل له فى دنياه.. أرجى عمل
بعيدا عن ساحات القتال..

كان فى إيصالها بنفسه مخاطرة لا ينبغى له فعلها.. خاطر بوضعه الأمنى تماما
..

وكان فى إيصالها مخالفة لما عهد عنه بأنه رجل المصلحة الأول فى المقاومة.. لا
يفعل شيئا إلا وسيأخذ أشياء فى المقابل.. لكنها ابنة عصام.. الرجل الوحيد
الذى أحس أنه يرى روحه فيه.. يشبهه.. يرى بعينه.. الرجل الوحيد الذى
أحس أنه يرى نهاية الطريق واضحة تماما.. بلا شك ولا ريب.. بين عينيه
بصيرة لا تخطئ.. وفراسة لا تخيب..

قال براء : أبى.. هل أقرأها؟؟

وضعها والده فى يده وقال : لاتنس أن تحرقها بعد أن تقرأها.. هذه الأيام

لاتعرف متى يدخل زوار الفجر بيتك..

كان الخُط سريعاً.. واضحاً.. بعد السلام قال..

كيف حالك يا أختى.. اشتقتك كأشد ما يشواق امرؤ إخوانه.. لكنه طريق

الله الذى اخترناه من سنين..

طريق الغربة التى لاتنتهى إلا هناك.. تحت العرش.. فى الفردوس الأعلى بإذن

الله..

هذه ابنتى يا أختى.. ثمرة روحى.. حافظ عليها واهتم بها كبراء وبشينة.. أنا أعلم

أن مثلك لا يوصى بهذا.. لكنها كالتى لقاصد الصلاة.. تزيد من عزمه

فحسب..

ولو شئت - وهذه رغبتى الخاصة - أشرك سيرين فى تربيتها.. هى ستحفظها

جيداً.. كما حفظتنى من قبل.. أعلم أنك لم تكن على صلة طيبة بها يا محمود

لكنها والله أنقى مما قد يدرك كل أحد.. وأعقل وأدين مما قد يبدو عليها

..ولا أظن أن السنين تغير مثلها.. لو ارتأيت أن المصلحة في عكس ذلك فلا

بأس.. كما تشاء..

أتعلم.. ما نزلت منزلا ولا وطئت أرضا إلا ذكرتك.. ذكرت قراءتك.. ودعائك

..وحزنك.. ودمعك..

ورفعت رأسى إلى السماء وقلت : يارب.. يسر أمره وأصلح باله وحاله..

أعتذر عن قصر الحديث.. لكننى أكتبه على عجل فالوقت محدود..

أبلغ سلامى بنيك.. وقل لبراء.. الطريق فى اوله وعمر.. لكن المعونة على قدر

المؤونة.. والعامل من تعب قليلا ليستريح كثيرا

بارك الله فى عمرك على طاعته... وأبقاك لأمتك.. نور يضىء ليلها..

عصام..

التفت براء في دهشة إلى والده وقال : إنه يتحدث كما لو كان يراك الآن تماما

..

ابتسم والده في حزن وقال : المؤمن يرى بنور الله يا براء.. أحرقتها هيا..

في صباح اليوم التالي كان مع سيرين.. قال في تردد : أستاذتي.. هل تعلمين

ان عمى عصام تزوج؟؟

ابتسمت وقالت : نعم.. رأيت هذا في مفكراته التي أحضرتها لي.. لو كنت

نسيت..

قال : حسنا؟؟

قالت : اجلس يا براء.. متى تزوج عصام؟؟ منذ أربعة عشر عاما فحسب

..أى بعد قرابة عشر سنوات من افتراقنا.. وقد اعتدت أن أقصى مدة للبقاء

على الذكرى أربع أو خمس سنوات.. ثم زواجه كان مبررا.. وعهدنا يا بني كان

عهد حب لا عهد تملك.. أنا لو كنت تزوجت لم اكن لأصبح خائنة في نظره

ابدا.. وهذا ما أنا على يقين منه..

لكنني لم أتزوج لأنني لم أإر رجلا غيره.. كان هو الرجل في نظري فحسب

..هذا هو السبب..

كان عهدنا عهد اثنين على يقين أنهما لن يلتقيا مرة أخرى.. عهد لا يستطيعه

كل أحد.. فهمتني..

قال : افهمك..

قالت : ما الذى أعلمك أنه تزوج؟؟

قال : ابنته.. قالت : جاءت إلى هنا؟؟

قال : نعم.. اسمها سيرين..

قالت في بهجة : ساتى معك.. أريد أن أرى ابنته..

كان الموقف شديدا على سيرين.. فتلك الفتاة الصغيرة.. الناعمة.. بالغة الرقة
..التي لا تحمل عيني عصام.. بل عين أخرى كانت زوجته دوناً عن كل نساء
الدنيا.. تلك الفتاة من دمائه هو .. ليست كبراء مثلاً.. بل هي قطعة منه
..من روحه.. حملها على يديه.. ورفعها على كتفيه.. أقرأها كتاب الله.. لا
عنها.. علمها.. ابنته.. بلا ريب..

قالت سيرين الصغيرة : أتعرفيني يا خالة؟؟

قالت سيرين في حب : أكثر مما تتخيلين.. أكثر بكثير..

..

أسند جواد رأسه إلى السرير الذي يرقد عليه..

تلك الرحلة مكنته من معرفة ما سيحدث في الأيام القادمة في أفغانستان

..أسلوب العمليات الجديدة.. وأخذ تأكيدا من القيادة هناك بعدم المسؤولية

عن أى عملية تتعارض مع عمل المقاومة.. أمسك هاتفه.. وجاء صوت غادة
قريبا حبيبا إليه:

قالت : أنت تهاتفنى.. عجيب!

ابتسم وقال : غدا سأتى بإذن الله.. نهم قولى لهادى أننى حضرت جنازة السيد
مهدي فى مشهد قبل أيام.. وقرأت له الفاتحة هناك.. لا لن يدفن فى كربلاء
..أوصى بأن يدفن فى الأرض التى يموت بها.. وقد دفن بالفعل..

قالت : احفظ لنا نفسك فحسب..

ضحك وقال : ما الذى سيحدث؟؟ حسنا سأحفظ نفسى..

فتح حاسبه وبسرعة مسح كل ما يتعلق بعصام وتوابع الأمر.. كانت عادة له
مسح كل أمر ينتهى لديه..

أرسل رسالة أخيرة لحمزة..

قل لعصام.. من كان الله ثقته.. فمن أين يؤتى؟؟

ماحدث في تلك الليلة كان أمرا عجيبا حقا..

كان عصام يقول لحمدى.. سأخرج أنا بدلا عنك هذه المرة.. اشتقت لصوت
الرصاص..

ارتدى ثيابه في ثقة بالغة.. صلى ركعتين.. وقف أمام المرآة.. وهذب شعره
ولحيته.. وفي قلبه تكون يقين لا يشبهه شئ بأنه لن يعود.. لقد انتهت كل
دنياه.. اطمئن على ابنته.. وأنهى كتابه الأخير:

أوراق مهاجر.. هو لايعرف من اين أتاه ذلك اليقين.. لكنه متأكد منه.. على
يقين به..

قام جواد من على فراشه واعتزم الذهاب غلى جامع قريب ليصلى العشاء..
وقف أمام المرآة وابتسم.. تذكر سيرين منذ أيام وهى فى مشهد.. فى طريق
العودة من جنازة مهدى وهى تقول : أتعلم أنك تشبه ابى.. خاصة وانت تنظر
إلى الناس.. أشعر أن أبى ينظر إلى الناس مشفقاً..

هو يعرف لماذا ينظر هذه النظرة إلى الناس : يشفق عليهم من أن لا يذوقوا

لحظة الأُنس مع عزف الرصاص .. من لحظة واحدة في معية الله .. من همس

قلب يقول " اللهم خذ من دمانا اليوم حتى ترضى "

أدبيات الجهاد والاستشهاد تتشابه بينه وبين عصام كثيرا.. حتى تكاد تتطابق

..سبع رصاصات..

استقرت في صدر كل منهما في ذات الدقائق تقريبا.. في 6:45 مساء.. نال

جواد الرصاصات على سلم مدخل البناية.. من مسدس كاتم للصوت.. ونال

عصام سبع رصاصات أيضا من بندقية قناص روسى تربص له تحديدا..

منذ أعوام.. جلس غريبين على مائدة مطعم في بلد لا ينتمى أى منهما لها

..غريبين في الأرض.. وفي العقيدة..

وكان أحدهما يقول : يا ذاهبون إلى الشهادة لا وداع.. أخشى أن أسير كل

هذه المسافة ولا أصل..

قبل حمزة عيني عصام التي ذهبت روحها وقال : ستكون مجاهدتك التي تتمنى

يا أخى..

تجلد وهو ييدفن عصام في قمة الجبل كما أوصى.. ربت حمدي على كتفه

وقال : اصبر يا أخى..

التفت حمزة إليه وقال : لقد دفنت نور عمري.. وسأصبر..

بكى براء في صمت وهو يرى جنازة جواد في الأخبار ويقلب نظره إلى شاشة

الكمبيوتر التي حملت نعي عصام.. أبو عمر المهاجر... التفت لأبيه وقال :

أكنت تعرف أن هذا هو هذا؟؟

قال : لا..

قرأ أخيرا الكلمات المنشورة في الموقع بأنها خاتمة كتاب عصام الذي كتبه في

أعلى الجبال الشم هناك..

"نحن.. من نحن فى دنيا الله سوى أرواح.. أرواح لن ترتقى قدر أئمة او ترتفع

إلا بمقدار ما تعمل بمقتضى وجودها.. مقتضى وجودها هو أصل خلقتها

..نحن.. نفحة من روح الله.. فمقتضى وجودنا أن نكون لصاحب أرواحنا..

أن نكون له.. لا لغيره.. كل ألم فى غير الله زائل.. كل وجد بغير الله ينتهى

..كل حبل أصله فى غير السماء منقطع..

كل كلمة حب لاتعرف ربها أولا كلمة خائنة.. كل عهد لا ينتهى فى الجنة

عهد فاسد..

نحن.. أرواح لله.. أرواح تعرف منذ خطت الخطوة الأولى على الطريق إلى أين

تنتهى..

إلى دليل الحب الأعظم.. إلى كلمة الحب الأصدق فى الدنيا..

إلى الشهادة"

التفت براء إلى أبيه : أبى.. هل سأصل؟؟

ابتسم والده في حب وقال : مادمت على الطريق ستصل...

آلاء غنيم

19/4/1432.